بسم الله الرحمن الرحيم

# الإستمساك بالعروة الوثقى بين الكفر والايمان


دكتور/

جمال محمد سعيد عبد الغنى

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

مقدمة : —

ان هدف كل مسلم يبتغي رضوان ربه ويكون له الصلاح في الدنيا والفلاح في الاخرة هو أن يكون ممسكا بالعروة الوثقى التي لا إنفصام لها والعروة يعنى بها كما سيتضح فيما بعد هي الاسلام او الايمان او القرآن والتي لا ينفك عنها أبدا ويكون ممسكا بها ملتصقا بعروتها التي لا تزحزحه قدر أنملة عما تمسك به ولا يتأتى هذا الاستمساك بالعروة الوثقى الا بتحقيق شرطين هامين هما الكفر بالطاغوت والايمان بالله فالاستمساك بالعروة الوثقى لا يتحقق الا بين هذين الشرطين بين الكفر والايمان والمقصود بكفر الطاغوت هو ان يكفر الانسان بكل ما عبد من غير الله والذى عبد من غير الله كثير وكثير منها

١ – الجمادات والنباتات وبعض الحيوانات وايضا بعض البشر خصوصا الصالحون والانبياء منهم يأتي على رأسهم السيد المسيح والعزيز عليهم السلام الى جانب عبادة الملائكة والشياطين والاجرام السماوية وكل ذلك يمكن درجة وادخالة تحت مسمى الطاغوت لكن هناك مشكل وهو إدخال الملائكة و والمسيح والعزير عليهم وبعض الصالحين تحت هذا المسمى وهو الطاغوت حيث ان كل ما عبد من غير الله سيكون حصبا لنار جهنم وهذا ما سيتضح من خلال هذا البحث فى حل هذا المشكل.

وما يقصد بالضبط من حقيقة مسمى الطاغوت والكفر به .

أما الايمان بالله فيبدو انه مشكل ايضا خصوصا بين العلماء والفرق الاسلامية الذين إختلفوا في تحديد معنى مسمى الايمان هل هو الايمان القلبى من تصديق وحسب ؟، او هو الايمان القلبى مع الاقرار باللسان؟: أم هما معا مع الالتزام بالاعمال وهذا ما سنتناولة فى هذا البحث من إلقاء الضوء على تلك الاراء مستخلصا الرأى الصواب الذى سار عليه سلفنا الصالح رضى الله عنهم وارضاهم مما أوصلهم الى الاستمسكاك بالعروة الوثقى التى لا إنفكاك عنها تحقق لهم الصلاح فى الدنيا والفلاح فى الاخرة بمشيئة الله عز وجل فنالوا رضوان الله .

## حقيقة العروة الوثقى

إذا تأملنا للمعنى اللغوى للفظ العروة وجدنا انها تشير الى أذن الكوب (او أذن الكوز) وهى التى يمسك بها حتى لا يقع.

(العروة) القميص والكوز وهى معروفة ) (١)

ويقصد باذن الكوز اى المقبض الذى ذكرنا انه يمسك منه حتى لا ينفك فلايقع

( العروة من الدلو او الكوز مقبضة والوثقى مؤنث الاوثق اى الاقوى (٢)

والمقصود بهذا التشبية اى الاستمساك بالعروة الوثقى التى لا إنفكاك لها هو الاستمساك بالدين الذى هو الاسلام بالايمان به إيمانا يقينيا بقبولة والتسليم له بمحبة الى جانب الولاء لمن تمسك بذلك، والبراء من كل من عداه

ذكر الامام ابن منظور فى لسان العرب

ان عروة الدلو او الكوز مقبضة وعرى المزادة أذانها وعروة القميص مدخل زرة. وعرى القميص واعراه جعل له عرى. وفى الحديث : لا تشد العرى إلا الى ثلاث مساجد وهى جمع عروة، يريد عرى الاحمال والرواحل وعرى الشيء اتخذ له عروة وقوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها شبه بالعروة التى يتمسك بها قال الزجاج : العروة الوثقى قول الا اله الا الله وقيل معناه عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله حجة (٣)

فالتمسك بعقيدة لا إله الا الله نافيا كل الارباب مثبتا لله عز وجل كل ما يليق بجلال وجهه من توحيد ربوبية وتوحيد الوهية وإثبات صفاته وأسماءه كما من علينا بنعمة معرفة ذلك من خلال نصوص القرآن وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ولا نستطيع أن نقصر معنى العروة الوثقى بقول لا اله إلا الله وحسب، بل إن سلفنا الصالح قد فهموها

---

١- محمد ابو بكر الرازى / مختار الصحاح ص ٤٢٩ طبعة دار المعارف بالقاهرة

٢- محمد فريد وجدى / المصحف المفسر / مطبعة الشعب ص٥٥

٣- إبن منظور لسان العرب ط دار صادر بيروت لبنان ج ١٥ ص٤٥

كل حسب ما إرتآه من تفسير للعروة الوثقى وكلها صحيحة وموصلة الى معنى واحد وهو الاستمساك بهذا الدين السمح القيم ، فمنهم من ذهب الى ان العروة الوثقى معناها الايمان وبعضهم فسرها بأنها الاسلام وبعضهم ذكر ان معناها قول لا إله إلا الله وبعضهم فسرها بإنها هي القرآن والاستمساك به وبعضهم فسرها بانها هو الحب في الله والبغض في الله بغية التقرب الى رضوان الله وقد أورد الامام إبن كثير رضى الله عنه في تفسيره تلك الاراء وزاد بروايتين من السنة المطهرة تفسر بصورة واضحة معنى العروة الوثقى (قال ابن كثير فقد استمسك بالعروة لا إنفصام لها) أى فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التى لا تنفصم هى نفسها محكمة قوية وربطها قوى شديد ولهذا قال(فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها ...الايه) قال مجاهد:- العروة الوثقى يعنى الايمان وقال السدى :- وهو الاسلام وقال سعيد بن جردي والضحاك يعنى لا إله الا الله وعن انس بن مالك العروة الوثقى القرآن وعن سالم بن ابى الجعد قال هو الحب فى الله والبغض فى الله وكل هذه الاقوال صحيح ولا تنافى بعضها بعضها وقال معاذ بن جبل فى قولة (لا انفصام لها) دون دخول الجنة وقال مجاهد وسعيد بن جبير (فقد إستمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها ثم قرأ (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال الامام احمد :- انبأنا اسحق بن يوسف حدثنا بان عوف عن محمد بن قيس بن عبادة قال كنت فى المسجد فجاء رجل فى وجهة اثر من خشوع فصلى ركعتين اوجز فيهما فقال القوم هذا رجل من اهل الجنة فلما خرج اتبعته حتى دخل منزلة فدخلت معه فحدثته فلما أستأنس قلت له ان القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما ينبغى لاحد ان يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم: أنى رأيت رؤية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه رأيت كأنى فى روضة خضراء- قال إبن عون فذكر من خضرتها وسعتها - وفى وسطها عمود حديد اسفلة فى الارض واعلاه فى السماء فى *أعلاه عروة فقيل لى أصعد عليه فقلت لا أستطيع فجاءنى منصف - قال إبن عون هو الوصيف - فرفع ثيابى من خلفى فقال أصعد فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال إستمسك بالعروة فإستيقظت وإنها لفى يدى فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال، أما الروضة فروضة الاسلام أما العمود فعمود الاسلام واما العروة فهى العروة الوثقى انت على الاسلام حتى تموت) قال وهو عبد الله بن سلام اخرجاه فى

الصحيحين من حديث عبد الله بن عون فقمت اليه واخرجه البخارى عن محمد بن سرين.

طريق اخرى وسياق اخر قال الامام احمد :- انبانا حسن بن موسى وعثمان قال حماد بن سلمة عن عاصم ابن بهدلة عن المسيب بن رافع عن خرشة بن الحر قال قدمت المدينة فجلست الى مشيخة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فجاء شيخ يتوكأ على عصا فقال القوم :- من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فقام خلف سارية فصلى ركعتين فقلت له :- قال بعض القوم كذا كذا فقال :- الجنة لله يدخلها من يشاء وانى رأيت على عهد رسول رؤيا كان رجلا أتانى فقال انطلق فذهبت معه فسلك بى منهجا عظيما فعرضت لى طريق الى جبل زلق فأخذ بيدى دحا: بى فإذا انا على ذروته فلم أتقار و لم أتماسك فاذا عمود حديد فى ذروته حلقة من ذهب فأخذ بيدى فدحا: بى حتى اخذت بالعروة فقال :- استمسك فقلت نعم فضرب العمود برجلة فاستمسك بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه فقال (رأيت خيرا اما المنهج العظيم فالمحشر واما الطريق التى عرضت عن يسارك فطريق اهل النار ولست من اهلها واما الطريق عن يمينك فطريق اهل الجنة واما الجبل الزلق فمنزل الشهداء واما العروة التى استمسكت بها فعروة الاسلام فإستمسك بها حتى تموت قال فانما ارجو ان أكون من اهل الجنة قال :-واذا هو عبد الله بن سلام وهكذا رواه النسائى عن احمد بن سليمان عن عفان وابن ماجة عن أبى بكر بن ابى شيبة عن الحسن بن موسى الاشيب كلاهما عن حماد بن سلمة به نحوه واخرجة مسلم فى صحيحة من حديث الاعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر الفزازى به (١)

ومن هنا كله نستخلص ان ديننا الحنيف قد حثنا على الإستمساك بهذا الدين بأن نؤمن به ونستسلم بقولنا وعقولنا وجوارحنا لله رب العالمين ملتزمين اوامر ونواهى القرآن والسنة محافظين على عقيدتنا من أى شائبة بان تكون خالصة لوجه الله وقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله ، موالين كل من إستمسك بتلك العروة الوثقى ومبرأين ومعادين كل من خلف ذلك.

---

١- ابن كثير تفسير القرآن العظيم / طبعة دار التراث العربي الجزء الاول ص ٣١١ الى ٣١٢

ولكي يمكننا الاستمساك بالعروة الوثقى هـذه يجب تحقيق شرطين هامين وهما ان نكفر بالطاغوت والانداد وكل ما سوى الله من معبود والاخر ان نؤمن بالله حق الايمان من علم وتصديق بعقولنا بالله رب العالمين وبقلوبنا تسلم وتقبل ونحب و نبغض كله فى الله ولله، مصدقين على ذلك بألسنتنا حتى يعلم من حولنا بما فى عقلولنا وقلوبنا وتصدق على ذلك جوارحنا بألا يكون هناك تناقض لما نقول وندعى والا نجحد أمر معلوم من الدين بالضرورة وأن نلتزم بقدر المستطاع بكل أوامر الله ونواهية وهذا هو الايمان.

قال الامام الطبرى :- جعل الله تعالى الايمان الذى يتمسك به العبد المؤمن بالله الكافر بالطاغوت من اوثق عرى الاشياء بقولة الوثقى(١) فالشرطين السابقين هما اساس للاستمساك بالعروة الوثقى التى لا إنفصام لها من كفر بالطاغوت وايمان بالله طبقا لقول الله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم (٢)

والمطلوب الان هو الوقوف على معرفة حقيقة هذين الشرطين، حقيقة الطاغوت، وحقيقة الايمان وهذا ما سيتضح فى الصفحات الاتية بمشيئة الله عز وجل.

وقبل توقفنا على حقيقة الطاغوت لابد من وقفة يسيرة امام معنى الكفر ومغزاه فى اللغة وفى الشرع.

**حقيقة الكفر**

الكفر يأتى بمعنى الجحود والخروج من الملة ، ويأتى بمعنى النكران للنعمة وفى الاصل الكفر بمعنى الستر، يقال :

(كفر بالله (يكفر) (كفرا)(وكفرانا)

وكفر النعمة وبالنعمة ايضا جحدها وفى الدعاء ولا نكفرك الاصل ولا نكفر نعمتك وكفر بكذا تبرأ منه وفى التنزيل انى كفرت بما اشركتمونى من قبل وكفر بالصانع نفاه

---

١- ابو جعفر بن جرير الطبرى الجامع فى تفسير القرآن العظيم دار القرآن بيروت ج٥ ص ٤١٧

٢- سورة البقرة ايه ٢٥٦

وعطل وهو الدهرى والملحد وهو كافر وكفرة وكفار كافرون والانثى كافرة وكافرات وكوافر و كفرته كفرا) سترته (١)

والكفر ضد الايمان يقال امنت بالله و كفرت بالانداد والطاغوت

(الكفر : نقيض الايمان، أمنا بالله وكفرنا بالطاغوت، كفر بالله يكفر كفرا وكفورا وكفرانا ويقال لأهل دارالحرب قد كفروا اى عصوا وامتنعوا)

والكفر : كفر النعمة وهو نقيض الشكر والكفر: جحود النعمة وهو ضد الشكر وقوله تعالى (إنا بكل كافرون) اى جاحدون وكفر نعمة الله يكفرها كفورا وكفرانا وكفر بها جحدها وسترها وكافرة حقة. ورجل مكفر اى رجل مجحود النعمة مع احسانه ورجل كافر : جاحد لانعم الله مشتق من الستر وقيل لانه مغطى على قلبه (٢)

وقد صنف اهل العلم الكفر على اربعة اوجه وهم كفر الانكار، كفر الجحود، وكفر المعاندة، كفر النفاق.

قال إبن منظور

فأما كفر الانكار فهو ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد وكذلك روى فى قوله تعالى : (ان الذين كفروا سواء عليهم االذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) اى الذين كفروا بتوحيد الله وأما كفر الجحود فأن يعترف بقلبة ولا يقر بلسانه فهو كافر جاحد ككفر ابليس وكفر امية بن ابى الصلت ومنه قوله تعالى : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعنى، كفر الجحود، وأما كفر المعاندة فهو ان يعرف الله بقلبة ويقر بلسانه ولا يدين به حسدا وبغيا ككفر ابى جهل واضرابه.

وأما كفر النفاق بأن يقر بلسانه ويكفر بقلبه ولا يعتقد بقلبه ، قال الهروى : سئل الازهرى عمن يقول بخلق القرآن انسميه كافرا ؟ فقال : الذى يقوله كفر فأعيد عليه

---

١- احمد بن محمد بن على الفيومى / المصباح المنير ج١ المكتبة العلمية /بيروت لبنان ص٥٣٥

٢- ابن منظور / لسان العرب المحيط / قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلى اعداد وتصنيف يوسف خياط دار لسان العرب بيروت ج٣ ص ٢٧٣

السؤال ثلاثة ويقول ما قال ثم قال في الآخر قد يقول المسلم كفرا ، قال شمر : الكفر ايضا بمعنى البراءة كقول الله تعالى حكاية عن الشيطان في خطيئته اذا دخل النار : انى كفرت بما اشركتمون من قبل ، اى تبرأت وكتب عبد الملك الى عسيد بن جبير يسأله عن الكفر فقال : الكفر على وجوه : فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلها آخر، وكفر بكتاب الله ورسوله وكفر بدعاء ولد لله وكفر مدعى الاسلام وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله ويسعى في الارض فسادا ويقتل نفسا محرمة بغير حق ثم نحو ذلك من الاعمال كفران : احدهما كفر نعمة الله والاخر التكذيب بالله ) (١)

ومما سبق نخلص الى ان انواع الكفر اربعة

النكران والجحود والمعاندة والنفاق

يضاف اليها كفر التبرأ وهو كفر ورد على لسان ابليس وتبرأه من المشركين يوم القيامة ومنهم من صنفه على تصنيفات اخرى وهى اتخاذ شريك لله وكفر بإنكار القرآن وجحوده وكفر نفاق بان يدعى الاسلام وقلبة منه برىء .

وكل هذه التصنيفات لا تخرج عن قسمى الكفر ونوعيه وهما كفر النعمة وجحودها وكفر الانكار والتكذيب لله

وتتعدد مسميات الكفر وكله ملة واحدة يتلون ويتجدد ويتغير تحت هذه الاسماء المختلفة وإذا بحثنا في حقيقة الكفر في الاصطلاح العقائدى الاسلامى وجدنا كثير من التعريفات والاختلافات لحقيقة الكفر وهذا راجع الى عدم اتفاق العلماء والفرق لحقيقة الايمان والايمان مقابل للكفر وان الكفر عند كل طائفة مقابل لما فسروا به الايمان

قال سعد الدين التفتازانى في المقاصد : الكفر عدم الايمان عما من شأنه

وهو اعم من التكذيب لشموله الكافر الخالى عن التصديق والتكذيب وقال القاضى : وهو الجحد بالله وفسر بالجهل، ورد بأن الكافر قد يعرف الله ويصدق به والمؤمن قد لا يعرف بعض احكامه فأجيب بأن المراد الجحد به في شىء مما علم قطعا انه من احكامه او

---

١- المرجع السابق ج٣ ص ٢٧٣

الجهل بذلك إجمالا وتفصيلا وقالت المعتزلة: وهو قبيح او اخلال بواجب يستحق به اعظم العقاب وفيه خفاء ظاهر (١)

والكفر نسبي بحسب وجهة نظر كل فرقة للايمان فالفرقة التي تقول ان الايمان هو التصديق قالت ان الكفر هو عدم التصديق اى التكذيب والتي قالت انه التصديق والاقرار قالت : الكفر هو عدم الاقرار فضلا عن التكذيب والتي قالت الاعمال داخله في حقيقة الايمان مع التصديق والاقرار قالت : ان هناك افعال دالة على كفر صاحبها وهذا الافعال قرينة كفر ظاهر حتى ولو وجد عنده التصديق القلبي من امثلة تلك الافعال حرق المصاحف او القاءة في القاذورات أو شد الزنار بالاختيار فهذه افعال كفرية وقرينه دالة على ذلك رغم تصديقة بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

لو سلمنا إجتماع التصديق المعتبر في الايمان مع تلك الامور التي هي كفر وفاقا فيجوز ان يجعل الشارع بعض محظورات الشرع علامة التكذيب فيحكم بكفر من ارتكبة وبوجود التكذيب فيه وانتفاء التصديق عنه كالاستخفاف بالشرع وشد الزنار وبعضها لا كالزنا وشرب الخمر ويتفاوت ذلك الى متفق عليه ومختلف فيه ومنصوص عليه ومستنبط من الدليل وتفاصيله في كتب الفروع وبهذا يندفع إشكال اخر وهو ان صاحب التأويل في الاصول أما ان يجعل من المكذبين فيلزم تكفير كثير من الفرق الاسلامية كأهل البدع والاهواء المختلفين من اهل الحق. واما ان لا يجعل فيلزم عدم تكفير المنكرين لحشر الاجساد وحدوث العالم وعلم البارى بالجزئيات فأن تأولاتهم ليست بابعد من تأويلات اهل الحق للنصوص الظاهرة في خلاف مذهبهم وذلك لان من النصوص ما علم قطعا من الدين انه على ظاهره فتأويله تكذيب للنبي بخلاف البعض ثم لا يخفى ان المراد التكذيب او عدم التصديق من المكلف ليخرج الصبي العاقل الذى لم يصدق او صرح بالتكذيب واما عند القائلين بصحة إيمانه، وبأنه يكفر بصريح التكذيب وان لم يكفر بترك التصديق فالمراد التكذيب ممن يصح منه الايمان وعدم التصديق ممن يجب عليه الايمان (٢)

---

١- سعد الدين التفتازاني / شرح المقاصد ج٥ عالم الكتب بيروت لبنان / مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ص٢٢٥

٢- المرجع السابق ج٥ ص ٢٢٦

وإذا قلنا ان الكفر هو الجحود بالله فإننا نجد معترض يقول ان كثير من الكافرين عارفين بالله تعالى مثل ابليس واليهود وعلى ذلك فالكفر فى راى هو عدم قبول وتسليم ومحبة كل ما يرد عن الله من اوامر ونواهى والكافر يخلو قلبه من محبة كلام الله ويخلو قلبه ايضا من خوف الله والرجاء فيه والولاء لكل من أمن به والبراء من كل من عداه ، فهذه كلها علامات ودلالات توحيد الالوهية وهو صرف ادنى العبادة لله من قبول ومحبة وتسليم وخوف ورجاء وولاء وبراء من الله والى الله والكافر ليس فى قلبه اى شيء من هذا بل هو فقط عالما بالله مصدقا به و العلم والتصديق بعيدان عن القلب والله سبحانه وتعالى لا يريد من عباده الا قلوب سليمة مليء بما سبق ذكره من قبول ومحبة وتسليم وخوف ورجاء وولاء وبراء لله رب العالمين وتلك الاشياء لا يمكن ان تأتى معها قرائن كفرية اما التصديق والعلم فمن الممكن ان يأتى معه بافعال كفرية تكون قرينه على كفر بواح مثل الامثله سابقة الذكر

فالكافر لديه توحيد ربوبية فقط فهو يعلم ان الله هو الخالق الرازق المحيى المميت مثل علم وتصديق إبليس بأن الله له عزة وقد أقسم به وأن هناك يوم يحاسب فيه الخلائق وهو يوم البعث، وايضا علم وتصديق اليهود بوجود الله ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهم غير مصدقين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالمين ، الى جانب علم وتصديق الكفار بأن الله خالقهم وخالق السماوات والارض والامثلة من القرآن كثيرة وعديدة

قال تعالى ( قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) (١)

(قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون ) (٢)

( ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله)(٣)

( ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) (٤)

---

١- سورة ص اية ٨٢

٢- سورة ص ٧٩

٣- سورة لقمان ايه ٢٥ وسورة الزمر ايه ٣٨

وخلاصة ما قيل فى الكفر هو (الكافر ان اظهر الايمان خص باسم المنافق وان كفر بعد الاسلام بالمرتد وان قال بتعدد الالهة فالمشرك وان تدين ببعض الاديان فبالكتابى (وان اسند الحوادث الى الزمان واعتقد قدمة فبالدهرى وان نفى الصانع فبالمعطل وان ابطن عقائد هى كفر بالاتفاق فبالزنديق)(١)

والواضح ان الكافر هو الساتر لحقيقة الايمان فلا أمان له ، وأما اذا اظهر الايمان وابطن الكفر فهو المنافق الذى لا عهد له أما اذا اعلن تنصله من هذا الايمان وعدم قبوله بعد ان اظهرة فهو مرتد وهو حكم الاسلام فيه القتل .

اما الذى يدعو من دون الله اندادا شركاء كالولد او الصاحبة او ما شابه ذلك فهو المشرك .

أما الكتابى او اهل الكتاب فهم اللذين اطفو على شركهم مسحه دينيه بها ايمان بالمغيبات خصوصا الكتب السماوية والانبياء والرسل .

اماالدهرى فهو الذى يقول بقدم الزمان ويقول ان الارحام هى التى تقذف بنا فى هذه الحياة وفى النهاية تبلعنا الارض وما يهلكنا الى الدهر فهم دهريون .

أما المعطل فهو الذى يعطل صفة من صفات الله قولها ويعطل فعلا صريحا اورده النص الشريف.

أما الزنديق فهو الذى يبطن ويستر داخل نفسه عقائد كفريه ويظهر للناس خلاف ذلك فهو باطنى منافق وهؤلاء منسوبون الى مذدك الزنديق الذى ظهر فى البيئة الاسلامية مجددا العقائد المجوسية الزردشتية التى ظهرت من قبل فى فارس -إيران حاليا -

وبعد وقفنا على حقيقة الكفر يجدر ان يتطرق بنا الحديث الان عن الكفر بالطاغوت فما هو هذا الطاغوت ؟

---

٤- سورة الزخرف ايه ٩

١- المرجع السابق / ج٥ ص ٢٢٧

## حقيقة الطاغوت

إختلفت الاراء في تفسير معنى الطاغوت، وهو الشرط الاول في تحقيق الاستمساك بالعروة الوثقى، ان نكفر بالطاغوت فما هو هذا الطاغوت ؟ هناك كثير من الاراء التي تفسر معنى الطاغوت واذا استعرضنا تلك الاراء لبعض المفسرين وبعض العلماء لوجدناها لا تخرج عن فهم سلفنا الصالح رضي الله عنهم وارضاهم الذين فهموا معنى تلك الكلمة من خلال نصوص القرآن الكريم التي اوردت اسم الطاغوت ، وقد ورد هذا الاسم من خلال خمس سور هم البقرة والنساء والمائدة والنحل والزمر في ثماني مواضع مختلفة وهي قوله تعالى :-

( فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى ) (١)

وقوله تعالى ( والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) (٢)

( ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) (٣)

( يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ) (٤)

وقوله تعالى ( والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) (٥)

وقوله تعالى ( وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت )(٦)

وقوله تعالى( أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) (٧)

وقوله تعالى ( والذين إجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد) (٨)

---

١- سورة البقرة اية ٢٥٦

٢- سورة البقرة اية ٢٥٧

٣- النساء اية ٥١

٤- سورة النساء اية ٦٠

٥- سورة النساء اية ٧٦

٦- سورة المائدة اية ٦٠

٧- سورة النحل اية ٣٦

٨- الزمر اية ١٧

ونحن نستأنس بفهم السلف الصالح لتلك الايات ولنا فيهم اسوة حسنة وقد إستعرض اهل اللغة والمفسرون وكثير من العلماء فهم السلف الصالح وسوف نعرض انفا بعضا من هؤلاء :-

**اولا: في اللغة قال ابن منظور**

الليث الطغيان والطغوان لغة فيه والطغوى بالفتح مثله والفعل طغوت وطغيت والاسم الطغوى ابن سيده طغى يطغى طغيا ويطغوا طغيانا جاوز القدر وارتفع وعلا في الكفر وفي حديث وهب ان للعلم طغيانا كطغيان المال اى يحمل صاحبة على الترخص بما اشتبه منه الى ما لا يحل له ويرتفع به على من دونه ولا يعطى حقة بالعمل به كما يفعل رب المال وكل مجاوز حده في العصيان...

وفي التنزيل العزيز :( ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وطغى يطغى مثله وأطغاه المال اى جعله طاغيا. وقوله عز وجل( فأما ثمود ثمود بأهلكوا بالطاغية) قال الزجاج : الطاغية طغيانهم اسم العاقبة والعاقية. وقال قتادة : بعث الله عليهم صيحة

وقيل : اهلكوا بالطاغية اى بصيحة العذاب وقيل اهلكوا بالطاغية اى بطغيانهم وقال ابو بكر :- الطغيا البغى والكفر وانشد :

وإن ركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلابث

وقال تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وطغى الماء والبحر: ارتفع وعلا على كل شيء فأخترقه. وفي التنزيل العزيز :( إنا لما طغى الماء حملنا كم في الجارية). وطغى البحر : هاجت امواجة. وطغى الدم تبيغ. وطغى السيل اذا جاء بماء كثير وكل شيء جاوز القدر فقد طغى كماطغى الماء على قوم نوح وكما طغت الصيحة على ثمود (١)

ولفظ طاغوت يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وأصل وزن طاغوت طغيوت على وزن فعلوت ثم قدمت الياء قبل الغين محافظة على بقاءها فأصبحت طيغوت على وزن فلعوت ثم قلبت الياء الفا فصارت طاغوت

---

١- ابن منظور لسان العرب ج ١٥ ص٨

قال ابن منظور:

(الطاغوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث :- ووزنه فعلوت انما هو طغيوت قدمت الياء الفا قبل الغين. وطاغوت، وان جاء على وزن لا هوت فهو مقلوب لانه من طغى. ولا هوت غير مقلوب لانه بمنزلة الرغبوت والرهبوت، واصل وزن طاغوت طغيوت على وزن فعلوت ثم قدمت الياء قبل الغين محافظة على بقاءها فصار طيغوت ووزنة فعلوت ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت، وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت، قال الليث : الطاغوت تاؤها زائدة وهي مشتقة من طغى، وقال ابو اسحاق : كل معبود من دون الله عز وجل جبت وطاغوت ، وقيل الجبت والطاغوت الكهنة والشياطين، وقيل في بعض التفسير : الجبت حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديان، قال الازهري وهذا غير خارج عما قال اهل اللغة لانهم اذا اتبعوا امرهما فقد اطاعوهما من دون الله وقال الشعبي وعطاء ومجاهد : الجبت: السحر، والطاغوت : الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال قد يكون واحدا (١)

**ثانيا : ذكر الفيروز آبادى**

في القاموس المحيط ان الطاغوت الات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والاصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة اهل الكتاب للواحد ،والجمع فعلوت من طغوت والجمع طواغيت وطواغ والجبت حيى بن الاشرف واطغاه جعله طاغيا والطغوة المكان المرتفع (٢)

**ثالثا الطبرى : ذكر في تفسيره**

قولة تعالى، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ...الاية

(اختلف اهل التأويل في معنى الطاغوت فمنهم من قال هو الشيطان في الحديث ٥٨٣٤ رواه ابو اسحاق البيعى ان الطاغوت هو الشيطان)

١- المرجع السابق ج ١٥ ص ٨

٢- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى / القاموس المحيط ط مصطفى الحلبي ج٤ ص ٣٥٨

وقال اخرون هو الساحر في الحديث رقم ٥٨٤١ عن محمد بن بسار قال حدثنا عوف عن محمد قال الطاغوت : الساحر

ومنهم من قال هو الكاهن

في الحديث رقم ٥٨٤٥ حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابي جريج فمن يكفر بالطاغوت قال كهان تنزل عليها شياطين يلقون على السنتهم وقلوبهم وقال اهل الطاغوت الطغوت من قال قائل طغا فلان يطغوا اذا علا قدرة فتجاوز حده كالجبروت من التجبر(١)

وفي تفسير اية النساء في قول الله تعالى (الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)

قال الامام الطبري :- الجبت والطاغوت هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وفي الحديث رقم ٩٧٦٤

ذكر ان الجبت والطاغوت هما صنمان (٢)

**رابعا: ذكر الامام القرطبي في تفسيره عن**

قول الله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بـا لله فقد إستمسك بـالعروة الوثقى) فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله جزم بالشرط والطاغوت مؤنثة من طغى ويطغى وحكى الطبري يطغوا اذا جاوز الحد بزيادة عليه ووزنه فعلوت ومذهب سيبوية انه اسم مذكر مفرد ومذهب ابو على مصدر كرهوت وجبروت وهو يوصف به الواحد والجمع وقلبت لامه الى موضع العين وعينه موضع الام كجبذ وجذب فقلبت الواو الفا - لتحركها وتحرك ما قبلها فقيل الطاغوت واختار النحاس هذا القول وقيل اصل طاغوت في اللغة مأخوذة الطغيان يؤدي معناه من غير اشتقاق كما قيل الالء من اللؤلؤ قال المبدر هو جمع وقال ابن

---

١ - ابو جعفر ابن جرير الطبري جامع تفسير القرآن الكريم ج٥ ص ٤١٦ دار القرآن الكريم بلبنان
٢ - المرجع السابق ج٨ ص ٤٦١

عطية مردود وقال الجوهرى والطاغوت الكاهن والشيطان وكل راس فى الضلال وقد يكون واحدا قال الله (يريدون ان يتحاكموا)- النساء ٦٠

وقد يكون جمعا قال تعالى (اولياءهم الطاغوت) -البقرة ٧ ٢٥

والجمع طواغيت (١)

وذكر الامام القرطبى فى تفسيره موضع آخر للفظ طاغوت من سورة النساء فى قول الله تعالى يردبون ان يتحاكوا الى الطاغوت

قا ل الضحاك دعا اليهود المنافق الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب ابن الاشرف وهو الطاغوت قال ابو صالح عن عباس قال كان بين رجل من المنافقين يقال له بشر وبين يهودى خصومة فقال اليهودى إنطلق بنا الى محمد قال المنافق بل الى كعب بن الاشرف والذى سماه الله الطاغوت او ذو الطغيان فابى اليهودى ان يحاكمة الا الى رسول الله فلم راى ذلك المنافق اتى معه الى رسول الله فقضى لليهودى فلما خرج قال المنافق لا ارضى انطلق بنا الى ابو بكر فحكم لليهودى فلم يرضى وقال إنطلق بنا الى عمر فأقبلا عمر فقال اليهودى ان صرنا الى رسول الله ثم الى ابى بكر فلتم يرضى فقال عمر للمنافق أكذالك هو ؟ قال نعم رويدك حتى أخرج اليكما فدخل اخذ السيف ثم ضرب به المنافق وقال هكذا اقضى على من لم يرضى بقضاء الله وقضاء الرسول وهرب اليهودى وقال رسول الله انت الفاروق ان عمر فرق بين الحق والباطل (٢)

**خامسا: ذكر العلامة نظام الدين النيسابورى**

فى تفسير هذه الاية فمن يكفر بالطاغوت ..... الاية

قال عمر : ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال ابو العلي الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس ولعله كل ما عبدوه من دون الله

---

١- القرطبى /الجامع لاحكام القرآن دار الكتب المصرية للطباعة والنشر ج٣ ص ٢٧٩
٢- المرجع السابق ج٥ ص ٢٦٣

قال ما يطغى وانما جعلت هذه الاشياء اسباب للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقولة (رب انهن اضللن كثيرا من الناس)

ويعلم من قوله (فمن يكفر بالطاغوت) ثم من قوله (ويؤمن بالله ان الكافر لابد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك) (١)

٧ فالتخلية مطلوبة قبل التحلية بمعنى ان دري المفسدة مطلوب تقديمها وهي الكفر بالطواغيت قبل جلب المنفعة وهي الايمان با لله حتى يتم بهماالوصول الى الاستمساك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها

سادسا: ابن كثير

ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله

اى من خلع الانداد والاوثان وما يدعو اليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبد وحده وشهد ان لا اله الا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى فقد ثبت فى امره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم ثم قال ... قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الجبت السحر والطاغوت. الشيطان وان الشجاعة والجبن غرائز تكون فى الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان من امه وان كرم الرجل دينه وحسبة وخلقة وان كان فارسيا او نبطيا ومعنى قوله فى الطاغوت انه الشيطان قوى جدا فانه يشمل كل شر كان عليه اهل الجاهلية من عبدة الاوثان والتحاكم اليها اوالاستنصار بها (٢)

سابعا: تفسير رشيد رضا فى كتاب المنار

فقد أورد ان من دواعى الاستمساك بالعروة الوثقى الكفر بالطاغوت وهو المسبب فى الطغيان وتجاوز الحد ويكون الامتثال الى هذا الطاغوت سببا للعصيان والخروج عن دائرة الايمان

---

١- العلامة نظام الدين الحسن بن حسين القمى النيسابورى/ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان دار الريان ص ٢٠ ج٢

٢- عماد الدين ابن كثير تفسير القرآن العظيم دار التراث العربى ج١ ص ٣١١

قال الاستاذ رشيد رضا :-

فمن يكفر بالطاغوت اى كل ما تكون عبادته والايمان به سببا للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ورئيس يقلد و يتبع (ويؤمن بالله) فلا يعبد الا اياه ولا يرجو غيره ولا يخشى سواه يرجوه ويخشاه لذاته وبما سنه من الاسباب والسنن فى عباده

(فقد إستمسك بالعروة الوثقى ) اقول :- اى فقد طلب وتحرى بإعتقاده وعمله ان يكون ممسكا باوثق عرى النجاة واثبت اسباب الحياة او فقد اعتصم باوثق العرى وبلغ فالتمسك بها قال الاستاذ الامام : الاستمساك بالعروة الوثقى هو الاستقامة على طريق الحق القويم الذى لا يضل سالكه كما ان المتعلق بعروة هى اوثق العرى واحكمها فلا يقع ولا ينفلت (١)

**ثامناً : رأى الامام محمد بن عبد الوهاب فى معنى الطاغوت قال:**

(اعلم رحمك الله تعالى ان اول ما فرض الله على ابن أدم الكفر بالطاغوت والايمان بالله والدليل قوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

فأما صفة الكفر بالطاغوت ان تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر اهلها وتعاديهم

وأما معنى الايمان بالله ان تعتقد ان الله هو الاله المعبود دون سواه وتخلص جميع انواع العبادة كلها لله وتنفيها عن كل معبود سواه وتحب اهل الاخلاص وتواليهم وتبغض اهل الشرك وتعاديهم وهذه ملة ابراهيم التى سفه نفسه من رغب عنها. وهذه هى الاسوة التى أخبر الله بها فى قوله تعالى : ( قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذا قلوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده)

والطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود اومتبوع او مطاع فى غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت والطواغيت كثيرة ورؤسهم خمسة

---

١- محمد رشيد رضا تفسير المنار طبعة دار المنار سنة ١٣٢٤هجرية ج٣ص٣٧

الاول : الشيطان الداعي الى عبادة غير الله والدليل قوله تعالى :(ألم أعهد اليكم يابني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين)

الثاني : الحاكم الجائر المغير لاحكام الله والدليل قوله تعالى :- (ألم تر الذين يزعمون انهم أمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا)

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى :(ومن لم يحكم بما أنزل الله فاؤلئك هم الكافرون)

الرابع : الذي يدعي علم الغيب من دون الله والدليل قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين ديه ومن خلفه رصدا)

وقال تعالى :(وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)

الخامس :الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة والدليل قوله تعالى :- (ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين)

واعلم ان الانسان ما يصير مؤمنا بالله الا بالكفر بالطاغوت والدليل قوله تعالى :(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم) الرشد دين محمدصلى الله عليه وسلم والغي دين ابي جهل والعروة شهادة ان لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والاثبات تنفي جميع انواع العبادة عن غير الله وتثبت جميع انواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له (١)

فهذه انواع خمسة قصرها إبن عبد الوهاب رضي الله عنه في عباة الشيطان والحاكم الجائر الذي يتحاكم الى الطاغوت ومن لا يحكم بما انزل الله والذي يدعي علم الغيب من دون الله والذي يعبد من دون الله وهو راض ولي تعليق على النقطة الثالثة وهي الطاغوت الذي يحكم بما لم ينزل به الله وقد استدل محمد بن عبد الوهاب باية النساء ومن لم يحكم

---

١ محمد بن عبد الوهاب / مجمعة التوحيد دار الفكر ص ١٠ و ١١

بما انزل الله فاؤلئك هم الكافرون وللامانة العلمية اقول :-هذا الكفر كفر نعمةوهو غير مخرج من الملة فهو كفر دون كفر وهذا الرأى منسوب لابن عباس وقاله احمد ابن حنبل وان شئت ارجع الى تفسير الاية ..

قال ابن تيمية فى كتاب الايمان :-

قالوا : فمن قال : ان ترك التصديق بالله كفر، وان ترك الفرائض مع تصديق الله انه قد أوجبها كفر، ليس بكفر بالله، وإنما هو كفر من جهة ترك الحق، كما يقول القائل : كفرتنى حقى ونعمتى ، يريد : ضيعت حقى وضيعت شكر نعمتى قالوا : ولنا فى هذا قدوة بمن روى عنهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين اذ جعلوا للكفر فروعا دون اصله لا ينقل صاحبة عن ملة الاسلام كما أثبتوا للايمان من جهة العمل فروعا للأصل لا ينقل تركة عن ملة الاسلام من ذلك قول ابن عباس فى قولة :

( ومن لم يحكم بما أ نزل الله فأولئك هم الكفرون ) المائدة اية ٤٧

قال محمد بن نصر : حدثنا إبن يحى ؛ حدثنا سفيان بن عينه ، عن هشام بين حجير ، عن طاووس ، عن عباس : ( ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ) ليس بالكفر الذى يذهبون اليه (١)

فهو كفر دون كفر ، اى كفر كفر غير مخرج من الملة ، بل هو كفر نعمة ونكران وسيتضح ذلك أكثر في موضعه بمشيئة الله فى تحقيق معنى الطاغوت

**تاسعا : ما ذكرهالشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب فى كتاب تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد**

أن الطاغوت كل ما عبد من غير الله وهو غير راض عن تلك العبادة مثل المسيح والعزيز والملائكة عليهم السلام

فهم غير راضين عما قام به المشركين عباد هؤلاء وهم برءاء مما فعلوه، الى جانب الاحجار والجمادات التى تسبح بحمد الله ولاترضى بما يفعله الحمقى من عبادة لهم فكل هذه المعبودات لسيت طواغيت لانه غير راضية عن تلك العبادة

---

١ - تقى الدين احمد بن تيمية / الايمان ص ٣٠٩ طبعة المكتب الاسلامى

قال : الشيخ سليمان الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد ، وقد فسره السلف يبعض أفراده. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الطاغوت : الشيطان. وقال جابر رضى الله عنه : الطواغيت : كهان كانت تنزل عليهم الشياطين. رواهما بان ابى حاتم. وقال مجاهد : الطاغوت : الشيطان فى صورة الانسان، يتحاكمون اليه وهوصاحب امرهم. وقال مالك : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله.

قلت : وهو صحيح لكن لابد فيه من استثناء من لا يرضى بعبادته

وقال ابن القيم : الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود او متبوع او مطاع. فطاغوت كل قوم من يتحاكمون الى غير الله ورسوله او يعبدونه من دون الله او يتبعونه على غير بصيرة من الله او يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة الله فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت احوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن اعرض عن عبادة الله الى عبادة الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم الى طاعة الطاغوت ومتابعته

وأما معنى الاية و فأخبر تعالى انه بعث فى كل امة اى : فى كل طائفة وقرن من الناس بهذه الكلمة : ان اعبدوا الله وإجتنبوا الطاغوت أى : اعبدوا الله وحده

عبادة ما سواه ، ولهذا خلقت الخليقة وارسلت الرسل و وانزلت الكتب و كما قال تعالى : (وما ارسلنا من قلبك من رسول الا نوحى اليه انه الا اله الا أنا فأعبدون ) الانبياء٢٥ وقال تعالى : ( قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إاليه أدعو واليه مآب) الرعد ٣٦ وهذه الاية هى معنى : الاإله إلا الله ، فإنها تضمنت النفى والاثبات كما تضمنته لا اله الا الله ففى قوله : (اعبدوا الله ) الاثبات ، وفى قوله (أجتنبوا الطاغوت) النفى ، فدلت الاية على انه لابد فى الاسلام من النفى والاثبات ، فيثبت العبادة لله وحده وينفى عبادة ما سواه وهو التوحيد الذى تضمنته سورة قل يا ايها الكارون ) الكافرون : ١ وهو معنى قوله : ( فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با لله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) البقرة ٢٥٦

قال ابن القيم : وطريقة القرآن فى مثل هذا أن يقرن النفى بالاثبات فينفى عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته و وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفى المحض ليس بتوحيد وكذلك

الاثبات بدون النفى فلا يكون التوحيد الا متضمنا للنفى والاثبات وهـذا حقيقة لا الـه الا الله انتهى (١)

عاشرا: ماذكره الشيخ عبد الرحمن ال الشيخ فى كتاب فتح المجيـد على كتاب شرح التوحيد

حيث قال عبد الرحمن ال الشيخ :-

قوله ولقد بعثنا فى كل أمه رسولا ان اعبدوا الله وأجتنبوا الطاغوت

الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنـه : الطاغوت الشيطان .

وقال جابر رضى الله عنه : الطاغوت كهان تنزل عليهم الشياطين وراهما ابن ابى حاتم وقال مالك : الطاغوت كل ما عبد دون الله

قلت : وذلك المذكور بعض افراده . وقد حده العلامة بن القيم حدا جامعا

فقـال : الطـاغوت كـل مـا تجاوز بـه العبد حده : مـن معبـود او متبـوع او مطـاع فطاغوت كل قـوم : مـن يتحـاكمون اليـه غـير الله ورسـوله او يعبدونـه مـن دون الله او يتبعونه على غير بصيرة من الله او يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة الله

فهذه طواغيت العالم. اذا تاملتها وتاملت أحوال الناس معها. رأيت أكثرهم أعـرض عن عبادة الله تعالى الى عبادة الطاغوت وعن طاعة رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم الى طاعة الطاغوت ومتابعته

وأما معنى الاية : فأخبر تعالى انه بعث فى كـل أمـة طائفـة عـن النـاس رسـولا بهـذه الكلمة (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) أى أعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سـواه كما قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها) وهذا معنى (لا اله الا الله) فانها هى العروة الوثقى (٢)

---

١- الشيخ سليمان عبد الله بن محمد عبد الوهاب / تيسر العزيز الحميد ط المكتب الاسلامى ص ٤٩ - ٥٠ - ٥١

٢- عبد الرحمن بن حسن ال الشيخ / بفتح المجيد فى شرح كتاب التوحيد ط المكتب الاسلامى ص١٩

فشرط التوحيد وأصله ان يكون متضمنا النفي والاثبات ، النفي بالنسبة للكفر بالطاغوت نفي كل الالهة التي تعبد من دون الله. والاثبات هي عبادة الله سبحانه بالايمان به وقبول احكامة والتسليم لها ومحبتها وملأ القلب بالرجاء والمحبة والخوف كله لله ومن الله.

وبعد هذا العرض لبعض النحويين اباب اللغة ولبعض المفسرين ولبعض العلماء الذين اجمعوا الرأي على حقيقة الطاغوت وهذا ما سأوضحه من خلال نقاط متابعة تبين تحقيقي لماهية الطاغوت والله المستعان.

**التحقيق لمعنى الطاغوت**

أولا: الطاغوت في اللغة

يأت مفردا وجمعا ومذكرا ومؤنثا فمثال المفرد الواحد قول الله تعالى (يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به) وتأتي جمعا مثل قول الله تعالى (والذين كفروا اؤلياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات)

وتأتي في المؤنث مثل قوله تعالى :(والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها)

انه مشتق من طغا وتقديره طغوت ثم قلبت الواو الفا وقال النحويون وارباب اللغة : وزنه فعلوت والتاء زائدة

ويرى اصحاب اللغة ان اصل الطاغوت الطغوت من قول القائل طغا فلان يطغوا اذا عدا قدره فتجاوز حده الجبروت من التجبر والخلبوت من الخلب ونحو ذلك من الاسماء التي تأتي على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء

**الطاغوت في الاصطلاح**

بتتبع أراء اللغويين والمفسرين وبعض العلماء اللذين ادلوا بدلوهم في تعريف معنى الطاغوت فقد وجدت انها لا تخرج عن ان الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود او متبوع او مطاع في غير الله ورسوله فهو طاغوت

مثل الشيطان والكاهن والساحر وكل راس في الضلال كحيى بن أخطب وكعب بن الاشرف ووقد استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤس الضلال ولافراطهما في الطغيان واغوائهما الناس ولطاعة اليهود لهما في معصية الله فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت

**ثالثا** : من وقوفنا على معنى الطاغوت في الاصطلاح الشرعي وجدنا ان المسيح عيسى بن مريم طاغوت النصارى وان عزيرا هو طاغوت اليهود وان الملائكة طواغيت من يعبدونهم كما زعم بذلك احد المجادلين(١) المنتسبين الى اهل الشرك والضلال بمكة فتعالى الله عما يقول المشركين علوا كبيرا

**رابعا** -يجب التفريق بين ثلاثة نقاط متباينة وهم

أ- أن المسيح وعزير والملائكة وكل ما يعبد من دون الله وهو غير راض عن هذه العبادة فلا يندرج تحت مسمى الطاغوت

---

١- قال تعالى ( انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

قال ابن اسحاق : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله الزبعرى : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب انفا وما قعد وقعد زعم محمد انا وما نعبد من الهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى : اما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمدا : أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما السلام فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن = الزبعرى ورأوا ان قد احتج = وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عيه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده، انهم انما يعبدون الشياطين ومن امرتهم بعبادته فأنزل الله تعالى عليه في ذلك لك( ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما إشتهت انفسهم خالدون ) أي عيسى بن مريم وعزيرا ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من اهل الضلالة ارباب من دون الله / ابن هشام / السيرة النبوية ج١ص٣٥٩

ب- ان كل من رضى بعبادة غيره له فهو طاغوت مثل الشيطان والكاهن والساحر وما شابههم من طواغيت العالم كفرعون وامثاله فهؤلاء كلهم طواغيت يجب الكفر بهم ومن لا يكفرهم فهو مثلهم

ج- من لا يحكم بما أنزل الله فلا نستطيع ان ندرجه تحت مسمى طاغوت لانه كافر كفر نعمة ، لا كفر مخرج من الملة كما ذكر ذلك اكثر العلماء عن سلفنا الصالح رضى الله عنهم وارضاهم (١)

**خامسا** : ان كلمة الطغيان التي وردت من خلال نصوص القرآن الكريم نجد انها-لا تنسب إلا الى اصحاب الظلم والكفر والطغيان لانفسهم ولغيرهم

وذلك كقوله تعالى :

( إذهب الى فرعون انه طغا) (٢)

(وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد)(٣)

(وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ) (٤)

---

١- حدثنا محمد بن يحي ومحمد بن رافع , حدثنا عبد الرازق انبأنا معمر عن ابن طاووس عن ابيه قال سئل ابن عباس عن قوله : و( ومن لم يحكم بما انزل الله فاؤلئك هم الكافرون ) قال : هى به كفر قال ابن طاووس وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله

حدثنا اسحاق انبأنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاووس عن ابيه عن ابن عباس قال : هو به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله حديث صحيح

وبه أنبأنا وكيع عن سفيان عن معمر و عن بان طاووس عن أبيه قال : قلت لابن عباس : ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ؟ قال : هو به كفر . وليس كمن كفر بالله واليوم الاخر وملائكته وكتبه ورسله (حديث صحيح )

حدثنا محمد بن يحيي حدثنا عبد الرازق عن سفيان , عن رجل , عن طاووس عن ابن عباس قال : كفر لا ينقل عن الملة

حدثنا اسحاق , أنبأنا وكيع عن ابيه جريج عن عطاء قال : كفر دون كفر وظلم دون ظلم , وفسق دون فسق/ ابن تيمية / الايمان / ص ٣١٠

٢- سورة طه الايه ٢٤

٣- سورة الفجر ايه ١١

٤- سورة الصافات ايه ٣٠

(ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا ) (١)

(وان للطاغين شر مآب ) (٢)

(وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى ) (٣)

(وكذبت ثمود بطغواها) (٤)

وقد نفى القرآن عن المؤمنين الطائعين لفظ الطغيان في قوله تعالى

(فإستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا) (٥)

(ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى) (٦)

(ما زاغ البصر وما طغى ) (٧)

ومن هذه النصوص نجد ان لفظ الطغيان ينسب الى الكافرين المتعالين والمتكبرين اللذين رضوا بعبادة غيرهم لهم، أما المؤمنون اللذين كفروا بالطاغوت وامنوا بالله فحق لهم الاستمساك بالعروة الوثقى فاؤلئك نفى الله عنهم صفة الطغيان لانها صفة ذميمة لا تلصق إلا بالكافرين.

سادسا -حكم الشرع في الطاغوت هو كافر باتفاق العلماء والكفر به ضرورة حتمية يجب الانصياع لها لامر الله الصريح بالكفر بالطاغوت والايمان به حيث قال فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى. (٨)

وقوله تعالى ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.(٩)

---

١- سورة النبأ ايه ٢٢
٢- سورة ص ٥٥
٣- سورة النجم ايه ٥٢
٤- سورة الشمس ايه ١١
٥- سورة هود ايه ١١٢
٦- سورة طه ٨١
٧- سورة النجم ايه ١٧
٨- سورة البقرة ايه ٢٥٧
٩- سورة النحل ايه ٣١

ويرجع حكم الشرع فى الطاغوت بالكفر به الى مجاوزة الحد ويقصد بهذا الحد هو حد الله بإنكاره والكفر به وادعاء الالوهية بدلا منها سبحانه وتعالى عما يشركون وهذه المرحلة هى التى هى المكفرة بالتأكيد وبداهة العقل والنقل نجد ان الطاغوت قد تجاوز الحد والقدر ولذلك امرنا بالكفر به كشرط اساسى للاستمساك بالعروة الوثقى الى جانب الشرط الاخر وهو الايمان بالله فلكيى يتحقق الاستمساك بالعروة الوثقى لابد اولا من نفى الشريك والانداد

وهى مرحلة التخليه بمعنى الكفر بكل ما يعبد من دون الله يأتى بعد ذلك مرحلة التحليه وهى الايمان بالله، والشرطان هامان لكى يتحقق لنا الاستمساك بالعروة الوثقى وكما قال العلماء : درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة او التخليه مقدمة على التحلية كما فى شهادة لا اله الا الله

**سابعا** - اذا قمنا بمقارنه ومفاضله بين اولياء الطاغوت واولياء الله فإننا نجد نقاط متباينه بينهما

أ-اولياء الطاغوت هم الكافرون واولياء الله هم المؤمنون طبقا لقول الله تعالى(الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النوروالذين كفروا اوليائهم الطاغوت.....)(١)

ب_ اولياء الطاغوت يخرجهم الله من النور الى الظلمة ، واولياء (الله يخرجهم الله من الظلمة الى النور طبقا لقول الله تعالى

(الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياءهم الطاغوت يخرجهم من النور الى الظلمات)

ج- اولياء الطاغوت يوليهم الله نار الاخرة ليكونوا اصحابها اما المؤمنون فهم اصحاب الجنة. طبقا لقول الله تعالى (والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار ) . .

---

١- سورة البقرة ايه ٢٥٧

د- اولياء الطاغوت كتب الله عليهم الخلود فى نار جهنم طبقا لقول الله تعالى اؤلئك اصحاب النار هم فيها خالدون -أما المؤمنون فخلودهم يكون فى جنات النعيم فشتان بين الخلودين

ه-اولياء الطاغوت غير متحقق لهم الاستمساك بالعروة الوثقى وهو الدخول فى الاسلام والثبات عليه بل هم مبعدون تماما عن تلك الهداية قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى-

و- اولياء الطاغوت يقاتلون فى سبيل الشيطان وهم الكافرون والذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله وهم المؤمنون قال تعالى : (الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) (١)

ز- اولياء الطاغوت يتحاكمون الى طواغيتهم وشياطينهم اما اولياء الله فيتحاكمون الى الله قال تعالى - ألم تر الى الذين يزعمون انهم أمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا (٢)

ح- اولياء الطاغوت ليست لهم البشرى بمرضاة الله وجنته ورحمته اما اولياء الله فلهم كل ذلك لاجتنابهم الطاغوت والكفر به وإنابتهم الى الله قال تعالى -والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد ) (٣)

**حقيقة الايمان :**

سبق أن ذكرنا ان المسلم الذى يرغب ويريد ان يستمسك بالعروة الوثقى فلابد له من تحقيق شرطين احدهما ان يكفر بالطاغوت وهى مرحلة التخليه ودرء المفسدة ، والاخرى هى الايمان بالله وهذه المرحلة هى التحلية بجلب المنفعة، وقد وفينا الحديث عن معنى الكفر ومعنى الطاغوت ويجدر بنا الان ان نتحدث عن حقيقة معنى الايمان.

---

١- سورة النساء ايه ٧٦

٢- سورة النساء ايه ٦٠

٣- سورة الزمر ايه ١٧

والايمان عبارة عن شعور داخلى للانسان يؤكده الانسان ويرسخه بعقلة وبقلبة ومن ثم فيخرج هذا الشعور ويترجم فى صورة سلوك عملى يراه الناس فيحكمون على هذا الشخص بأنه مؤمن وهذا بخلاف الكفرالذى هو رفض كل ما يرد عن الله سبحانه وتعالى بستره وإنكاره او جحوده رغم تأكده وعلمه وتصديقة اى الكافر انه من الله.

وقد ذكرنا من قبل ان الكفر لغة معناة الستر والتغطية، والعرب كانت تسمى الليل كافرا لانه يستر بظلمته كل شيء وتسمى الزارع كافرا لانه يغطى الحب فى التراب وتجمع على الكافر.

## وفى الاصطلاح

هو عدم تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض ما علم بحيه به بالضرورة (١)

وعلى ذلك فالايمان ضد الكفر و وهو إذعان قلبى وعقلى بالخضوع الى كل ما ورد عن الشرع بان يؤمن به إيمانا يقينيا لا شك فيه

( فالايمان إظهار الخضوع والقبول للشيء المؤمن به واعتقاده وتصديقة بالقلب فالايمان على هذا توثيق للعلاقة النفسية بين الانسان وبين ما يؤمن به واعطاء هذه العلاقة او الصلة نوعا للقداسة بحث لا يصل اليها شك او ارتياب قداسة تتعالى عن الروابط الاخرى المعروفة بين البشر حتى تجعل صدور الاساءة من المؤمن به الى المؤمن معادلة لصدور الاحسان فالمؤمن بشيء ينظر اليه بعين احساسة وتصورة وشعوره على انه كمال مطلق ولو بدا للاخرين انه ليس كذلك وهذا هو منشأ التفاوت فى المعتقدات فى اختلافها وتعددها لدى المؤمنين

فالايمان الحق الثابت هو الذى يصاحب المرء فى جميع احواله وأزمانه وهيئاته واوضاعه لا يفارقة قيد انملة فلا يتحول ولا يتبدل (٢)

---

١- وزارة الاوقاف / الكفر المتطرف فى ميزان الاسلام طبع بمطابع وزارة الاوقاف سنة ١٩٩٦ص٣٥

٢- مجدى محمد رياض الفلسفة الخلقية عند الاشاعرة دار مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة ١٩٩٣ ص١٥١

والايمان لغة مشتق من الامن ومعناة التصديق وهذا فيه نظر لإختلاف وإعتراض بعض العلماء على التسليم بإن الايمان يعني التصديق لغة بان اللغة بشعرها ونثرها وكل ما ورد عنها لا تعبر عن ذلك

قال صاحب المقاصد :-

(الايمان في اللغة : التصديق ، افعال من الامن للصيرورة او التعدية ويعدى بالباء واللام لملاحظة معنى الاعتراف والاذعان ولما ان مآله الى اخذ الشيء صادقا والصدق مما يوصف به المتكلم والكلام والحكم تعلق بالشيء بإعتبارات مختلفة مثل أمنت بالله وملائكته وبالكتاب وبالرسول ، واليوم الاخر وبالقدر) (١)

وقلنا ان الايمان نقيضة وضده الكفر وهم قالوا: ان الايمان تصديق

والتصديق ضده ونقيضة الكذب و فهل الكفر هو عبارة عن التكذيب وحسب بالتأكيد لا فالكفر أعم واشمل من التكذيب

يقول شارح الطحاوية مبينا ذلك (ولم يقابل لفظ الايمان قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق وانما يقابل بالكفر ... والكفر لا يختص بالتكذيب بل لو قال اعلم انك صادق ولكن لا أتبعك بل اعاديك وابغضك واخلفك لكان كفرا اعظم فعلم ان الايمان ليس التصديق فقط ولا الكفر التكذيب فقط بل اذا كان الكفر يكون تكذيبا يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب فكذلك الايمان يكون تصديقا وموافقة وموالاة وانقيادا ولا يكون مجرد التصديق (٢)

فإذا كان الايمان هو التصديق فقط فإن ذلك يترتب عليه أن الكفر هو التكذيب فقط وهذا ما لم يقله اى احد من ائمة السنة لا الاحناف ولا غيرهم اللهم إلا ما ورد عن الاشعرية والمرجئة وما شابههما من أن الايمان هو التصديق فقط وسنوضح اراء العلماء بالصفحات الاتية :-

---

١- سعد الدين التفتازاني / شرح المقاصد جزء ٥ ص١٧٥

٢- إبن ابى العز شرح العقيدة الطحاوية / طبعة زكريا يوسف على ص٢٤٣

الايمان فى الشرع اختلفت فيه الفرق الكلامية ، في انه عبارة عن التصديق فقط ، او انه التصديق مع الاقرار باللسان او انهما معا مع الاعمال بالجوارح

قال صاحب المقاصد

الايمان فى الشرع اما أن يجعل لفعل القلب فقط او اللسان فقط او كليهما وحدهما او مع سائر الجوارح فعلى الاول هو اسم للتصديق عند الاكثرين و اعنى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة للمعرفة عند الشيعة وجهم والصالحى

وعلى الثانى لإقرار بشرط المعرفة عند الرقاشي وبشرط التصديق عند القطان وبلا شرط عند الكرامية

وعلى الثالث لمجموع مكان التصديق المعرفة او العلم او الاعتقاد

وعلى الرابع للإقرار باللسان و والتصديق بالجنان والعمل بالاركان اما على ان يجعل تارك العمل خارجا عن الايمان داخلا فى الكفر وعليه الخوارج او غير داخل فيهما وعليه المعتزلة مختلفين فى ان الاعمال فعل الواجبات وترك المحظورات او مطلق فعل الطاعات واما على ان لا يجعل خارجا وعليه اكثر السلف وهو المحكى عن مالك والشافعى ذهابا الى انه قد يطلق على ما هو الاساس فى النجاة وعلى الكامل المنجى بلا خلاف والا فإنتفاء جزئه ضرورى (١)

**اولا –الايمان عند الاشاعرة وأمثالهم**

الذين قالوا بان الايمان عبارة عن التصديق فقط الاشاعرة والمرجئة والجهمية

(الايمان عند الاشاعرة هو التصديق فالايمان بالله تعالى هو التصديق به وعلى ذلك اجتماع اهل اللغة التى نزل بها القرآن قال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) وقال تعالى(بلسان عربى مبين) فلما كان الايمان (فى اللغة التى انزل الله تعالى بها القرآن هو التصديق قال الله تعالى وماأنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين اى بمصدق لنا وقالوا جميعا

١ – سعد الدين التفتازاني / شرح المقاصد ج٥ ص ١٧٧

فلان يؤمن بعذاب القبر والشفاعة ويريدون يصدق بذلك وجب ان يكون الايمان هو ما كان عند اهل اللغة الايمان هو التصديق (١)

**ثانيا الايمان عند المرجئة – (٢)**

وقد اشتهر عنهم :لا يضر مع الايمان اى معصية كما لا ينفع مع الكفر اى طاعة وهم فرق عديدة أحصاها ابو الحسن الاشعرى فى المقالات بأثنى عشرة فرقة (٣)

وهذه الفرق ذهبت الى ثلاثة اتجاهات فى مفهوم الايمان –

– ان الايمان بمجرد مافى القلب –اى قول القلب – من معرفة وتصديق ثم منهم من يدخل فيه اعمال القلب من قبول وتسليم ومحبة ومنهم من لا يدخلها

– ان الايمان بمجرد قول اللسان فقط وهم الكرامية

– ان الايمان تصديق القلب وقول اللسان

---

١ – ابو الحسن الاشعرى / اللمع / تحقيق حمودة غرابة ص ١٢٣
وعضد الدين الايجى المواقف طبعة بيروت لبنان ج ص٣٨٤

٢ – المرجئة من ارجأ اى من امهل واخر ان اصل هذه الفرقة هم الجماعة الذين امتنعوا من الدخول فى الفتن بين عثمان وصحبة وبين على ومعاوية رضى الله عنهم ثم تطورت بعد ذلك الى القول فى اصل الايمان والكفر وسائر الاعتقادات وكانت لهم اقوال خالفوا بها الشيعة والخوارج وكانوا بها على الطرف الاخر من الافراط وكان مؤدى قولهم شيوع الفساد والمجاهرة بالمعاصى بين العامة يقول المودودى ( بدأت هذه الفرقة تبنى لرأيها نظريات دينيه مستقلة خلاصتها الايمان هو الاعتراف بالله والرسول صلى الله عليه وسلم فحسب والعمل ليس ضروريا للايمان وعلى هذا فالمرء يبقى مؤمنا حتى لو كان تاركا للفرائض مرتكبا للكبائر
ان اساس النجاة هو الايمان فحسب واى معصية – مع وجود الايمان لا تلحق بالمرء ضرا ولا أذى وزاد بعض المرجئة على ذلك فقالوا : ان الكبائر التى هى دون الشرك مغفورة لا محالة ووصل البعض الاخر الى اكثر من هذا اذا قالوا اذا كان المرء تؤمن بقلبة واعلن الكفر بلسانه حتى فى دار الاسلام حيث لا خوف من احد او عبد الاصنام او تهود او تنصر فهو كامل الايمان وولى الللـه من اهل الجنة انظر ابن حزم الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج٤ ص٢٠٤ ابو الاعلى المودودى الخلافة والملك –ص١٤٥

٣ – ابو الحسن الاشعرى مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين دار النهضة ١٩٦٩ ص٢١٣

قال ابن تيمية : المرجئة ثلاثة اصناف

الذين يقولون الايمان بمجرد مافي القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه اعمال القلوب وهم اكثر المرجئة كما قد ذكر ابو الحسن الاشعرى اقوالهم فى كتابة ومنهم من لا يدخلها كجهم بن صفوان

والقول الثاني : من يقول هو بمجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لاحد قبل الكرامية

والثالث : تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن اهل الفقة والعبادة منهم (١)

ويلاحظ ان المرجئة قد جعلت الايمان عبارة عن التصديق والكفر في نظرهم هو التكذيب وهذا فيه نظر وستوضحة في التحقيق إن شاء الله

**ثالثا الايمان عن الكرامية**

أما الايمان عند فرقة الكرامية (٢) فيعني الاقرار باللسان فقط دون إذعان قلبي (٣)

بمعنى ان الايمان يتحقق بظاهر اللسان وحسب دون اذعان تصديقي فى القلب سواء بعلم وتصديق او بقبول وتسليم ومحبة وهذا الفرقة باطلة الاراء فاسدة الاعتقاد باطلة الاراء. (ان فرقة الكرامية هم الذين قالوا ان الايمان بمجرد التصديق في الظاهر فإذا فعل ذلك كان مؤمنا وان كان مكذبا فى الباطن وسلموا انه معذب مخلد فى الاخرة فنازعوا فى اسمه لا فى حكمه ومن الناس من يحكى عنهم انهم جعلوهم من اهل الجنة وهو غلط عليهم

١- ابن تيمية الايمان ص ١٦٧

٢- الكرامية بخراسان ثلاثة اصناف حقاقية وطرايقية واسحاقية هذه الفرق الثلاثة لا يكفر بعضها بعضا وان أكفرها سائر الفرق. فلهذا عددناها فرقة واحدة وزعيمها المعروف محمد بن كرام كان مطرودا من سجستان الى غرجستان وكان اتباعه فى وقته اوغاد شروين وافشين وزورنا مع نيسابور فى زمان ولاية محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر — وتبعه على بدعته من اهل سواد نيسابور شرذمة من حوكة القرى والدتهم وضلالات اتباعه اليوم متنوعه انظر عبد القاهر البغدادى / الفرق بين الفرق ط دار الافاق الجديدة بيروت ص٢٠٣

٣- سعد الدين التفتازاني المقاصد ج٥ ص ١٧٧ وابن تيمية الايمان ص ١٢٦ و١٣٤

ومع هذا فتسميتهم له مؤمنا بدعة ابتدعوها مخالفة للكتاب والسنة واجماع السلف وهذه البدعة الشنعاء هي التي انفرد الكرامية دون سائر مقالاتهم) (١)

**رابعا الايمان عند ابو حنيفة والفقهاء من اهل السلف**

أما الذين قالوا بان الايمان هو التصديق القلبي مع الاقرار باللسان هم اهل السلف وابو حنيفة وكثير من الفقهاء ولا يخفى ذلك ان الايمان لديهم قاصرا على ذلك التصديق والاقرار فقط بل يعنون بهما التزام الجوارح بما لا يناقض هذا التصديق وهذا الاقرار قول السلف في الايمان انه عبارة عن التصديق والاعتقاد القلبي مع الاقرار باللسان (ابو العباس القلانسي وابو على الثقفي وابو عبد الله بن مجاهد شيخ القاضي ابى بكر وصاحب ابى السحت فانهم ناصروا مذهب وابن كلاب نفسه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون :- هو التصديق والقول جميعا موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن ابى سليمان ومن اتبعه مثل ابى حنيفه (٢)

**خامسا الايمان عند ابى حامد الغزالى**

ومن الذين قالوا ان الايمان عقد وقول، والعمل مكمل لهذا العقد ولهذا الاقرار: الامام ابو حامد الغزالى ولذلك اشتهر عن السلف ان الايمان هو هذه الثلاثة عقد وإقرار وعمل لكن العمل مكمل لجزئي الايمان ذهب الغزالى في الايمان الى انه عبارة عن عقد قلبي وإقرار لساني، والاعمال مكملة ومصدقة للقلب وللسان غير داخلة في حقيقة مسمى الايمان.

قال الامام ابو حامد الغزالى : قد اشتهر عن السلف قولهم الايمان قول وعقد وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسان بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات

---

١- ابن تيمية الايمان ص٧٧

٢- ابن تيمية الايمان /ص ١١٤

كالاطراف بعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) الصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بإنسان اى ليس له الكمال الذي هو وراء الانسانية (١)

سادسا : الايمان عند ابن حزم

يبين ابن حزم في الفصل حقيقة الايمان كعقد وقلبي وقول لساني وعمل مخصوص اوجبه الشرع وهذا فيه بسط وقد ذكر ذلك بعد نقدة للفرق عديدة ادلت بدلوها في مفهوم الايمان

قال ابن حزم (ان الايمان عقد وقول وعمل وفيه بسط ما اجملناه مما تقدنا به قول المرجئة، وان اصل الايمان في اللغة التصديق بالقلب وباللسان معا باى شيء صدق الصدق لاشيء دون شيء البتة الا ان الله عز وجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقع لفظ الايمان على العقد بالقلب لاشياء محدودة مخصوصة معروفة لا على العقد لكل شيء واوقعها ايضا تعالى على الاقرار باللسان بتلك الاشياء خاصة لا بما سواها واوقعها ايضا على اعمال الجوارح لكل ماهو طاعة له تعالى فقط فلا يحل لحد خلاف الله تعالى فيما انزله وحكم به وهو تعالى خالق اللغة واهلها فهو املك بتصريفها وايقاع اسمائها على ما يشاء.....

قال ابو محمد التصديق بالشي اى شيء كان لا يمكن البته ان يقع فيه زيادة ولا نقص وكذلك التصديق بالتوحيد والنبوة لا يمكن البته ان يكون فيه زيادة ولا نقص لانه لا يخلو كل معتقد بقلبه او مقر بلسانه باى شيء اقر او اى شيء اعتقد من احد ثلاثة اوجه لا رابع لها اما ان يصدق بما إعتقد واقر اما ان يكذب بما اعتقد واما منزلة بينهما وهى الشك فمن المحال ان يكون انسانا مكذبا بما عتقد واما منزلة بينهما وهى الشك فمن المحال ان يكون انسان مكذبا بما يصدق به ومن المحال ان يشك احد فيما يصدق به فلم يبق الا انه مصدق بما اعتقد بلا شك ولا يجوز ان يكون تصديق واحد اكثر من تصديق اخر لان احد

---

(١) ابو حامد الغزالي / إحياء علوم الدين مكتبة الصحابة / ج١ ص١١٨

التصديقين اذا دخلته داخلة فبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم انه قد خرج عن التصديق ولابد وحصل فى الشك لان معنى التصديق انما هو ان يقطع ويوقن بصحة وجود ما صدق به) (١)

وهذا لان التصديق بسيط ولا يتبعض وإلا للحقة الشك وتسرب الكفر، اما الزيادة والنقص التى اوردها الشرع الحنيف فى الايمان فهى بعيدة كل البعد عن التصديق القلبى بل ان الزيادة والنقصان تتأتى بالاعمال فى مفهوم ابن حزم وسنوضح ذلك فى التحقيق عن مدى صحة هذا الكلام وما نستخلصة من مفهوم ابن حزم للايمان هو عبارة عقد وقول وعمل مخصوص اوجبة الشارع على المكلفين.

**سابعا : الايمان عند الخوارج**

قالت الخوارج ان الاعمال كلها داخلة فى مسمى الايمان فهو قول وعمل لكنه ثابت لا يزيد ولا ينقص فإن ذهب شيء منه ذهب كله جملة واحدة و لم يصح وصف صاحبة بالايمان مطلقا بل هو كافر طالما عرف ذنبة و لم يتب منه

قال صاحب المقاصد :-(وهو أن يكون الايمان اسما لفعل القلب واللسان والجوارح على ما يقال انه إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان فقد يجعل تارك العمل خارجا عن الايمان داخلا فى الكفر واليه ذهب الخوارج) (٢)

واذا لخصنا معتقد الخوارج فى مسمى الايمان نجد النقاط الاتية :-

ا-ان الاعمال جزء اساسى فى مسمى الايمان وهو شطر الايمان وليس شرط خارج عنه فتارك اى شيء من الأعمال الشرعية يعتبر لديهم خارج من دائرة الايمان داخلا فى دائرة الكفر هذا اذا مات الانسان قبل ان يتب.

ب-الايمان لا يزيد ولا ينقص لديهم فبعضه يذهب الكل

---

[١] ابن حزم الفصل - جز٣ ١٩١

٢ - سعد الدين التفتازانى / المقاصد ص ١٧٩

ج- ترتب على قولهم السابق ان سووا بين الكفر والمعاصى فقد جعلوا من يفعل المعصية كافر اذا لم يتب منها فقد انكروا التفرقة بين الكفر المخرج من الملة والكفر دون الكفر ودليلهم

-قول الله تعالى في مواضع متعددة من كتابة ان معصية الله ورسوله تدخل النار مع الخلود كقولة تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله خالدا فيها وله عذاب مهين) (١)

وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها ابدا) (٢)

وقوله تعالى : (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدين) (٣)

-ان الله سبحانه قد اطلق اسم الايمان على الاعمال كلها فعلا وتركا فتكون كلها داخله فى اصله فمن ترك شيئا منه نزع عنه وصف الايمان جملة وكان كافرا كما قلنا من قبل

- ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر بعض المعاصى فى احاديثه الصحيحة مثل قوله صلى الله عليه وسلم (اثنتان فى الناس هما بهما كفر الطعن فى النسب والنياحة على الميت) (٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم : ايما عبد ابق من مواليه فقد كفر حتى يرجع اليهم (٥)

وقوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض (٦)

وقوله صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر(٧)

---

١- سورة النساء١٤

٢- سورة الجن ٢٣

٣- سورة البقرة ايه ٨١

٤- رواه مسلم

٥- رواه مسلم

٦- متفق عليه

٧- رواه مسلم

وقوله صلى الله عليه وسلم اذا كفر الرجل اخاه فقد باء بها احدهما (١)

وسوف ترد على تلك الادلة في التحقيق ان شاء الله

**ثامنا الايمان عند المعتزلة**

اتخذت المعتزلة اصلا من اصولها الخمسة بقولها المنزلة بين المنزلتين بمعنى الفسق بين الكفر والايمان

-فهم يدخلون العمل ضمن الايمان فالذى يعرف الشريعه ثم لا يعمل بمقتضاها لا يسمى مؤمنا ولكنه لا يعتبر كافرا لانه يظل موحدا بل يعتبر فاسقا فمرتكب الكبيرة عند المعتزلة في منزلة بين منزلتى الكفر والايمان وهى منزلة الفسق وهذا ما اجابه واصل بن عطاء عن حكم مرتكب الكبيرة وهذه هى بداية ظهور المعتزلة.

قال صحاب المقاصد

ان يكون الايمان اسما لفعل القلب واللسان والجوارح على ما يقال انه إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان فقد يجعل تارك العمل خارجا عن الايمان داخلا فى الكفر واليه ذهب الخوارج او غير داخل واليه ذهب المعتزلة وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين الا انهم اختلفوا في الاعمال فعند أبى على وابى هاشم فعل الواجبات وترك المحظورات وعند ابى الهذيل وعبد الجبار فعل الطاعات واجبة كانت او مندوبة) (٢)

ويجعل ابن حزم القول بإجتماع الكفر والايمان فى فرق المعتزلة والشيعة وجميع الخوارج (ان الايمان هو المعرفة بالقلب بالدين والاقرار به بالسان والعمل بالجوارح وان كل طاعة وعمل خير فرضا كان او نافلة فهى ايمان وكل ما ازداد الانسان خيرا ازداد ايمانه وكلما عصى نقص ايمانه وقال محمد بن زياد الحريرى الكوفى من امن بالله عز وجل وكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم فليس مؤمنا على الاطلاق ولا كافرا على

---

١- رواه مسلم

٢- سعد الدين التفتازانى / المقاصد صـ ١٧٩

الاطلاق ولكنه مؤمنا كافرا معا لانه آمن بالله تعالى فهو مؤمن وكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر (١)

وقول ابن حزم هنا فى الخوارج فيه نظر لانهم لا يجعلون الايمان زائدا ولا ناقصا فهو لا يزيد ولا ينقص اما ابن زياد الحريرى فكلامه متهافت وأتفه من ان نرد عليه.

-اما اذا أتينا الى رأى بعض السلف فى مفهوم الايمان لوجدناهم يجمعون بين تصديق القلب وفعله بالتسليم المطلق للشرع وبين الاعمال التى كلفنا الشارع سبحانه وتعالى بها. وهذا لا يعنى انهم يجعلون الاعمال جزءا اساسيا لا ينفصل عن حقيقة الايمان بل انهم يجعلون الاعمال شروطا اساسية لصحة هذا الايمان ولكمال هذا الايمان فالاعمال عندهم منها ما هو شرط صحة ومنها وهو شرط كمال وهذا ما سيتضح من اراءهم وما سأبرزه باذن الله فى التحقيق لمفهوم الايمان.

**تاسعا: الايمان عند سهل التسترى**

وقد ذكر سهل بن عبد الله التسترى حين سئل عن الايمان قال: الايمان قول وعمل ونية وسنه، الايمان اذا كان قولا بلا عمل فهو كفر واذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق واذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة (٢)

**عاشرا: الايمان عند سفيان بن عيينة**

ومن الذين فهموا ذلك من السلف الصالح سفيان بن عيينه حيث ذكر ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص فعمل هنا جزء كمالى يجعل الايمان زائدا او ينقصة فلا يبقى معه شيء.

(حدثنا ابو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنى يعقوب اسحاق بن ابراهيم الصفار قال حدثنى محمد بن عبد الملك المصيصى ابو عبد الله قال : كنا عند سفيان بن

---

١- ابن حزم الفصل جـ ٣ صـ ١٨٨

٢- عبد الله محمد بن احمد القنائى / حقيقة الايمان ط مطبعة الفرقان / صـ ٦٤ وانظر ابن تيمية الايمان صـ ١٤٦

عيينه فى سنة سبعين ومائة فسأله رجل عن الايمان فقال : قول وعمل قال: يزيد وينقص ؟ قال: يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه مثل هذا، وأشار سفيان بيده قال الرجل: كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون ان الايمان قول بلا عمل ؟ قال سفيان : كان القوم قولهم قبل ان تقرر احكام الايمان وحدوده ان الله عز وجل بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كلهم كافة ان يقولا: لا اله الاالله وانه رسول الله فلما قالوها عصموا بها دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم امره ان يأمرهم بالصلاة

فأمرهم ففعلوا فو الله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الاول ولا صلاتهم فلما علم الله جل وعلا صدق ذلك من قلوبهم امره ان يأمرهم بالهجرة الى المدينة فأمرهم ففعلوا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الاول ولا صلاتهم فلما علم الله تبارك وتعالى صدق ذلك من قلوبهم امرهم بالرجوع الى مكة ليقاتلوا اباءهم وابناءهم حتى يقولا كقولهم ويصلوا صلاتهم ويهاجروا هجرتهم فأمرهم ففعلوا حتى اتى احدهم برأس ابيه فقال : يارسول الله هذا رأس شيخ الكافرين فو الله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الاول ولا صلاتهم ولا هجرتهم ولا قتالهم فلما علم الله عز وجل صدق ذكل من قلوبهم امرهم ان يأمرهم بالطواف بالبيت تعهدا وان يحلقوا رؤوسهم تذللا ففعلوا فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الاول ولا صلاتهم ولا هجرتهم ولا قتلهم اباءهم فلما لم الله عزو جل صدق ذلك من قلوبهم امره ان يأخذ من اموالهم صدقة

يطهرهم بها فأمرهم ففعلوا حتى اتوا بها قليلها وكثيرها فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الاول ولا صلاتهم ولا هجرتهم ولا قتلهم اباءهم ولا طوافهم فلما علم الله تعالى الصدق فيما تتابع عليهم من شرائع الايمان وحدوده قال عز وجل سبحانه وتعالى : قل لهم (اليوم أكلمت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا،

قال سفيان : فمن ترك خلة من خلال الايمان كان بها عندنا كافرا،- تركها جحودا - ومن تركها كسلا او تهاونا بها ادبناه وكان عندنا ناقصا هكذا السنة أبلغها عنى من سألك من الناس (١)

---

١- الاجرى/ الشريعة / السنة المحمدية صـ٣٠١ وانظر ابن حجر العسقلانى/ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى/١/ ط الريان ج١ ص ١٢٨

## إحدى عشر : الايمان عند ابن حجر العسقلانى

نجد ان الايمان عند ابن حجر العسقلانى يذكر ان الايمان هو الاقرار فقط، والذى يأخذ بظاهر هذا الكلام يجد انه موافق لرأى الكرامية الذين قالوا بذلك، ولكن شتان ما بينهما فإبن حجر قال ذلك وهو يستلزم فعل الاعمال فشرط كمال لصحة هذا الايمان فإذا وجدت قرينه تنافى اقراره الايمان بالله فإن ذلك يكون دالا على كفر صاحبة والاعمال لديه شرط كمال لا شرط صحة كما قالت بذلك المعتزلة والخوارج.

قال ابن حجر العسقلانى (الايمان هو الاقرار فقط فمن اقر اجريت عليه الاحكام فى الدنيا و لم يحكم بكفره الا ان اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود لصنم.

والمعتزلة قالوا هو العمل والنطق والاعتقاد والفارق بينهم وبين السلف انهم جعلوا الاعمال شرطا فى صحته والسلف جعلوها شرطا فى كماله ولا يشتبه عليك هذا القول فتقول: ان الحافظ يقول ان السلف جعلوا الاعمال شرطا فى كمال الايمان.؟

فنقول لك . ان كان قد سبق ان نقلنا قول ابن تيمية وصاحب المعارج من ان المعتبر شرطا فى الكمال هو اكثر الاعمال وليس كلها وعبارة الحافظ ليس فيها ان السلف اعتبروا كل الاعمال وانما لفظة (السلف جعلوها شرطا فى الكمال اى اعتبروا الاعمال).

وهو لفظ عام يحتمل التخصيص فيجمع بينه وبين قول غيره حسب ما قررنا منقبل من انه لا داعى لافتراض التضارب بين الائمة والعلماء طالما ان هناك وجه مستقيم للجمع بين اقوالهم خاصة فيما يتصل بالعقيدة ويكون مقصود الحافظ هنا هو ان السلف جعلوا اعمال الطاعات وترك المعاصى شرطا فى كمال الايمان لا كل الاعمال مطلقا وهكذا عند كل من تكلم عن الاعمال وكونها شرط فى كمال الايمان بصفة عامة (١)

كذلك فيمن هو تارك للعمل جملة فإن كان كافرا كفرا باطنا الا ان ذلك مما يصعب اثباته فى الظاهر فلا ينبغى حكم عليه ويكون مسلما فى احكام الدنيا حتى يثبت كفره بعمل من اعمال الشرك او بترك عمل يوجب عليه الكفر بذاته.

---

١- الحافظ ابن حجر العسقلانى / فتح البارى، جزء ١ صـ ٤٦

ثانى عشر الايمان عند إبن تيمية

رأى إبن تيمية ان الايمان لا نستطيع ان نكثرة على توحيد الربوبية بأن نصدق ان لا اله الا الله وحسب، بل الايمان ان نستجيب ونلبى ماتستحقة قول لا اله الا الله من اعمال نحن نتفاضل فيها

قال ابن تيمية:

(اول الدين وأخره وظاهره وباطنه هو التوحيد واخلاص الدين كله لله وتحقيق قول الا اله الا الله فإن المسلمين وإن أشتركوا فى الاقرار بها فهم يتفاضلون فى تحقيقا تفاضلا لا تقدر أن تضبطه حتى أن كثيرا منهم يظنون ان التوحيد المفروض هو الاقرار والتصديق بأن الله خالق كل شيء وربه ولا يميزون بين الاقرار بتوحيد الربوبية الذى - اقر به مشركوا العرب وبين توحيد الالهية الذى دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجمعون بين التوحيد القولى والعملى فإن المشركين ماكانوا يقولون ان العالم خلقة اثنان ولا ان مع الله ربا ينفرد دونه بخلق كل شيء بل كانوا كما قال الله عنهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله )(١)

وقال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) (٢)

وقال تعالى(قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولن لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ،سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون) (٣)

وكانوا مع اقرارهم بان الله هو الخالق وحده يجعلون معه الهة اخرى ويجعلونهم شفعاء لهم (٤) ويقولون( ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) (٥)

---

١ - سورة لقمان اية ٢٥

٢ - سورة يوسف اية ١٠٦

٣- سورة المؤمنون ايات من ٨٤ الى٨٩

٤- ابن تيمية / الفتاوى جـ ٢ صـ ٢٩٦

٥- سورة الزمر اية ٣

وهذا الاقرار من الكافرين بالله يشترك فيه كل الناس وهو توحيد الربوبية والله سبحانه وتعالى لا يريد منا هذا التوحيد بل يريد سبحانه وتعالى توحيد الالوهية بالاستجابة الى تحقيق ما تتطلبة والاقرار بتوحيد الربوبية من قبول دعوته والتسليم لها ومحبة شرعه والخوف منه والرجاء فيه فكل هذه الافعال توحيد الوهية بأن نصرف ادنى العبادة الخاصلة لله سبحانه وتعالى وهذا هو الايمان الحق

**ثالث عشر رأى ابن قيم الجوزية فى الايمان**

وانه عنده مؤلف من قول وعمل. قول القلب واللسان وعمل اللسان والجوارح، ولا يقتصر الايمان على قول القبل بالتصديق بما جاء به الشرع وحسب بل لابد من الانقياد وتحقيق قول ادعاء القلب بالتصديق واللسان يصدق والجوارح تصدق وتقر بما فى القلب قال ابن تيمية:

ان حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل والقول قسمان قول القبل وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته واخلاصة وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الاربعة زال الايمان بكماله واذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الاجزاء فان تصديق القلب شرط فى إعتقاده وكونهما نافعة واذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة واهل السنة فاهل السنة يجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به واذا كان الايمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر ان يزول بزوال اعظم اعمال الجوارح ولا سيما اذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذى هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريريه فانه يلزم عن عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح واذا لو اطاع القلب انقاد اطاعت الجوارح وانقادت ويلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح اذا لو اطاع القلب انقاد اطاعت الجوارح وانقادت

ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الايمان فان الايمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه وانما هو التصديق المستلزم للطاعة الانقياد وهكذا

الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه وان سمى الاول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء كما ان اعتقاد التصديق وان سمى تصديقا فليس هو التصديق المستلزم للايمان فعليك بمراجعة هذا الاصل ومراعاته (١)

وأذا انتقلنا الى مفهوم الايمان عند بعض علماء الامة لوجدنا الاتى :-

**رابع عشر : حافظ بن احمد ال حكمى**

رأى صاحب معارج القبول فى الايمان وقد جعل الايمان على اربعة امور قولان وعملان

اما القولان فهما قول القلب وقول اللسان اما العملان فهما عمل القلب وعمل الجوارح

**الاول قول القلب** : وهو تصديقة وإيقانه قال تعالى ( والذى جاء بالصدق وصدق به اؤلئك هم المتقون، لهم مايشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) وقال تعالى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكونن من الموقنين ) وغير ذلك من الايات وفى حديث الشفاعة ( يخرج من النار من قال الا اله الا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة ) وغير ذلك من الاحاديث.

**ثانيا قول اللسان** : وهو النطق بالشهادتين شهادة ان الا اله الا الله وان محمد رسول الله والاقرار بلوازمها قال الله(وقولوا أمنا)

قال تعالى (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق)

وقال صلى الله عليه وسلم. (امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانى رسول الله)

**الثالث عمل القلب**: وهو النية والاخلاص والمحبة والانقياد والاقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوزم ذلك وتوابعه قال تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهة) قال تعالى (وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا إبتغاء وجه ربه

---

١ – ابن قيم الجوزية / كتاب الصلاة / دار المكتب الاسلامى بالقاهرة ص٢١

الاعلى) وقال صلى الله عليه احبوا الله من كل قلوبكم )وقال صلى الله عليه اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين)

رابعا: عمل اللسان والجوارح.

فعمل اللسان مالا يؤدى الا به كتلاوة القرآن وسائر الاذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك وعمل الجوارح مالا يؤدى الا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشى فى مرضاة الله كنقل الخطا الى المساجد والى الحج والجهاد فى سبيل الله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الايمان قال تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

وان انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار ككفر ابليس وكفر غالب اليهود. (١)

**خامس عشرالايمان عند شيخ الازهر السابق جاد الحق على جاد الحق**

حيث جعل الايمان هو التصديق الجازم بكل ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم مثل ما ذهبت اليه الاشعرية والمرجئة آخذا ذلك عن معناه فى اللغة بحسب زعمه، ولم يشترط دليل على التصديق بالله بغية ادخال المقلد في زمرة المؤمنين رغم ذكره باخر النص دليلا عقليا يستلزم الاستدلال على وجود الله ورغم هذا كله الا انه ذكر نصا فحواه رأى الامام النووى فى الايمان رافضا رأى الذين اوجبوا الدليل حتى يكون من اهل القبلة وفرق الامام النووى بين الاذعان العقلى عن دليل بمعرفة والعلم بالله وأما القلب فمحلة الوجدان لاحكام الشرع من من حب وبغض بحسب ما يوجبة الشرع، ونص الشيخ جاد سوف اعرضه حتى لا اكون متجنيا عليه موضحا مدى الاضطراب فى كلامه.

(الايمان فى اللغة مصدر امن ومعناه التصديق قال تعالى حكاية لقول يوسف لابيهم وما انت بؤمن لنا ولوكنا صادقين. (٢) اى ما انت بمصدق لنا حين حدثناك ان الذئب

١- حافظ بن احمد حكمى/معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول فى التوحيد/دار الفتح الاسلامى ج٢ ص١٧

اكل يوسف وهو كما يتعدى بالباء يتعدى بالام كما قال تعالى ( ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم (١) وقال فما أمن لموسى الا ذرية من قومة(٢)

ومعناه فى الشرع تصديق القلب تصديقا جازما بكل ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما علم بحيئة من الدين بالضرورة وهذا التعريف هو الذى اختاره المحققون

من علماء الكلام ولم يشترطوا فى التصديق ان يكون عن دليل وذلك ليدخل المقلد فى عداد المؤمنين

قال النووى مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف ان الانسان ا اذا اعتقد دين الاسلام اعتقادا جازما لا تردد فيه كفاه ذاك وهو مؤمن من الموحدين ولا يجب عليه تعلم ادلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها خلافا لمن اوجب ذلك وجعله شرطا فى كونه من اهل القبلة وزعم انه لا يكون له حكم المسلمين الا به وهذا المذهب هو هو قول كثير من المعتزلة وبعض اصحابنا المتكلمين وهو خطأ ظاهر فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل ولان النبى صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به صلى الله عليه ولم يشترط المعرفة بالدليل فقد تظاهرت بهذا احاديث فى الصحيحين يحصل بمجموعها التواتر باصلها والعلم القطعى

والتصديق محله القلب وذلك بعد العلم والمعرفة بالعقل فالقضية العقلية لابد ان يخلفها الوجدان وتترك اثرها فى القلب حبا او بغضا والايمان بمعنى التصديق يرادف الاعتقاد ومتعلق الايمان والاعتقاد يسمى عقيدة فالتصديق بوجود الله اعتقاد ووجود الله عقيدة والتصديق بوحدانية الله اعتقاد ووحدانيته عقيدة ومن هنا جاز ان نقول : العقائد هى وجود الله ووحدانيته ما يجب اعتقاده وهذه العقائد جاء اكثرها فى قول الله تعالى (امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكة وكتبة ورسله لا تفرق بين احد من رسله) (٣)

---

٢- سورة يوسف ايه ١٧

١- سورة ال عمران ايه ٨٣

٢- سورة يونس ايه ٨٣

٣- سورة البقرة ايه ٢٨٥

وقول النبى صلى الله عليه وسلم جوابا لسؤال جبريل عن الايمان ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسلة واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره وشره (١)

والاعتقاد بوجود الله يثبت بالنظر والفكر فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء اى يثبت بالدليل العقلى لا الدليل النقلى حتى لا يترتب عليه الدور (٢)

**سادس عشر الايمان عند الشيخ محمد الغزالى**

الايمان فى رأى الشيخ الغزالى هو جعل العلم الصحيح بالله روح التصديق المقبول مثل الذين ذهبوا لذلك من قبل حيث قال :- ( الايمان معرفة بلغت حد اليقين او هو علم يصحبة الجزم والقطع فإذا قلت : انا أؤمن بوجود القاهرة فمعنى ذلك امران :

احدهما عقلى هو انك تعرف وجود هذا البلد والاخر قلبى وهو ان علمك لا ريبة فيه ولا تردد بل مقرون بالتصديق التام

والايمان بالله -جل شأنه - ينطوى على امرين جميعا النظرى والنفسى فإذا قلت: أنا أؤمن بالله فمعنى ذلك انك تعرفه. وان معرفتك له لا تلتبس بشك او تردد بل ان فؤادك مليء بالتصديق لقضية هذا الوجود الاعلى وبديهى ان تتفاوت حقائق الايمان فى النفوس بتفاوت المعرفة ضيقا وسعة وتفاوت التصديق عمقا وقربا فهناك عارفون بالله معرفة صافية الرونق مجلوة الافق شديدة التألق كأنها معرفة دراسة وخبرة (الرحمن فسأل به خبيرا)(٣)

وهناك معرفة دون ذلك وهناك أصحاب قلوب مفعمة باليقين راسخة الثقة تكر بها العواصف كما تمر الرياح بشماريخ الذرى لا تزحزحها عن الحق قيد انملة

وهناك يقين دون ذلك على ان الايمان اذا كان معرفة وتصديقا فان هذه المعرفة يجب اولا ان تتسم بالصحة والا فلا قيمة لتصديق لبابة الخطأ (٤)

---

١- رواه البخارى ومسلم

٢- جاد الحق على جاد الحق بيان للناس طبعة الازهر الشريف ج١ ص ١١٨

٣- الفرقان الاية ٥٩

٤- الشيخ محمد الغزالى / الجانب العاطفى من الاسلام ص ٢٧دار الدعوة

ونحن لا نسلم بتفاوت التصديق كما ذكر الشيخ لانه لو كان كذلك لزاد ونقص ولو اصبح كذلك لاصبح شكا يحمل الى الكفر وهذا ما ستوضحة فى التحقيق بمشيئة الله عز وجل

## سابع عشر الايمان عند الدكتور مبارك حسن حسين

يرى الايمان هو الاذعان التصديقى بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلا وليس هذا وحسب بل إشترط الاذعان لقبول هذا التصديق ولذلك حتى يتحقق توحيد الالوهية لا توحيد الربوبية المبنى على معرفة الله وتصديق وهو إيمان اكثر الناس خصوصا اليهود وابليس لكن الدكتور لم يتعرض الى ذكر مكانة الاعمال من هذا الاذعان القبولى القلبى لشرعنا الحنيف وهل هى شرط صحة او شرط كمال.

قال الدكتور مبارك (ان الايمان هو تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة اى علم من ادلة الدين التى لا تحتاج الى نظر واستعمال الفكر وقيام الدليل والمراد بتصديق النبى فى ذلك الاذعان لما جاء به والقبول له وليس المراد وقوع نسبة الصدق اليه فى القلب من غير اذعان وقبول له حتى لا يلزم الحكم بإيمان كثير الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته قال تعالى(يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) قال عبد الله بن سلام لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابنى ومعرفتى لمحمد اشد (١)

## التحقيق لمعنى مسمى الايمان

اولا :

ان الذين قالوا ان الايمان هو التصديق القلبى فان رأيهم مردود وغير مسلم به نظرا للنقاط الاتية :-

---

١- مبارك حسن حسين / علم التوحيد فى ضوء العقل والنقل ، طبعة الامانه ص ١٦٥

أ- لم يوجد فى اللغة العربية اى دلالة سواء فى الشعر او فى النثر تشير على ان الايمان معناه التصديق. (١)

ب- لفظ الايمان فى اللغة لا يقابله لفظ التكذيب، إذا إفترضنا ان معناه التكذيب بل ان المقابل له اى للايمان الكفر، والتكذيب لا تستطيع ان تقول هو كفر او ان الكفر كله عبارة عن تكذيب. (٢)

ج- ان الايمان اذا كان تصديقا قلبيا كما ادعوا فإن هذا التصديق لا يمكن ويستحيل ان يتبعض ولو حدث ذلك اى التبعيض لصار شكا وبالتالى لا نستطيع ان نقول ان الايمان التصديقى يزيد وينقص فنقول هو قليل عند هذا اى الايمان التصديقي وكثير عند هذا وهذا ممتنع عقلا (٣)

---

١- ان الايمان هو التصديق فى اللغة فهذه حجة على الاشعرية والجهمية والكرامية مبطلة لاقوالهم ابطالا تاما كافيا لا يحتاج معه الى غيره وذلك قولهم ان الايمان فى اللغة التى نزل بهاالقرآن هو التصديق فليس كما قالوا على الاطلاق وما سمى قط التصديق بالقلب دون التصديق باللسان ايمانا فى لغة العرب وماقال قط عربى ان من صدق شيئا بقلبة فأعلن التكذيب به بقلبه وبسلانه فانه يسمى مصدقا به أصلا ولا مؤمنا به البته وكذلك ما سمى قط التصديق باللسلان دون التصديق بالقلب ايمانا فى لغة العرب اصلا على الاطلاق ولايسمى تصديقا فى لغة العرب ولا ايمانا مطلقا الا من صدق بالشىء بقلبة ولسانه معا فبطل تعلق الجهمية والاشعرية باللغة جملة انظر ابن حزم الفصل جزء ٣ ص ١٨٩ و ١٩٠.

٢- ان لفظ الايمان فى اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق فإنه من المعلوم فى اللغة ان كل مخبر يقال له له صدقت او كذبت ويقال صدقناه او كذبناه ولا يقال لكل مخبر امنا له او كذبناه ولايقال : انت مؤمن له او مكذب له بل المعروف فى مقابلة الايمان لفظ الكفر يقال هو مؤمن او كافر والكفر لا يختص بالتكيب بل لو قال انا اعلم انك صادق ولكن لا أتبعك بل أعاديك واخالفك ولا اوافقك لكان كفره اعظم فلو كان الكفر المقابل للايمان ليس هو التكذيب فقط علم ان الايمان ليس هو التصديق فقط بل اذا كان الكفر يكون تكذيبا ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعا بلا تكذيب فلابد ان يكون الايمان تصديقا مع موافقة وموالاة وانقياد انظر ابن تيمية الايمان ص ٢٥٠

٣- قال ابو محمد لو نقص من التصديق شيء لبطل عن ان يكون تصديقا لان التصديق لا يتبعض اصلا وصار شكا وبالله تعالى التوفيق وهو مقرون بان امرا لو لم يصدق باية من القرآن او بسورة منه وصدق بسائرة لبطل ايمانه فصح ان التصديق لا يتبعض اصلا انظر ابن حزم الفصل ج٣ ص١٩٧

ثانيا – ان الذين قالوا ان الايمان هو التصديق القلبي من الممكن ان نحمل كلامهم على ظن حسن بهم احمد بان نقول أنهم كانوا يقصدون الايمان الاذعاني المستلزم للانقياد (١)

ثالثا – استقلت الكرامية (٢) برأي لم تقوله غيرها في ان الايمان هو الاقرار الظاهر دون غيره وبذلك الرأي قد خالفة القرآن والسنة وفهم السلف الصالح وحتى الفرق الكلامية

---

١– من هنا يتبين لك ان من قال من اهل السنة في الايمان هو التصديق على ظاهر اللغة –اذا فرضنا جدلا ان اللغة تجوز ذلك – انهم انما عنوا مجرد التصديق فان ابليس لم يكذب في امر الله تعالى له بالسجود وانما ابى عن الانقياد كفرا واستكبارا واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم و لم يتبعوه وفرعون كان يعتقد صدق موسى و لم و لم ينقد بل جحد بايات الله ظلما وعلوا فأين هذا من تصديق من قال الله تعالى فيهم ( والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون ) الايات واين تصديق من قال الله تعالى فيهم ( قالوا سمعنا وعصينا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ) من تصديق من قالوا ( سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ) انظر حافظ بن محمد ال حكمي معارج القبول ج٢ ص ٢٣

٢– عمت الكرامية ان الايمان اقرار فرد وهوقول الخلائق بلى في الذر الاول حين قال الله تعالى لهم الست بربكم قالوا بلى. وزعموا ان ذلك القول باق في كل من قاله مع سكوته وخرسه الى القيامة لا يبطل عنه الا بالردة فاذا ارتد ثانيا كان اقراره الاول بعد الردة وزعموا ان تكرير الاقرار ليس بايمان وزعموا ايضا ان ايمان المنافقين كايمان الانبياء والملائكة وسائر المؤمنين انظر عبد القاهر البغدادي / أصول الدين ص ٢٥٠ ط دار الافاق بيروت

وذكر الشهرستاني ان الكرامية قالت : ان الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمن فيما يرجع الى احكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع الى احكام الاخرة والجزاء فالمنافق عندهم : مؤمنا في الدنيا على الحقيقة مستحق للعقاب الابدي في الاخرة انظر الشهرستاني/الملل والنحل/مطبعة الحلبي ج١ ص١١٣. ذكر ابن تيمية عن الكرامية انها قالت ان: الايمان هو مجرد التصديق في الظاهر فإذا فعل ذلك كان مؤمنا وان كان مكذبا في الباطن وسلموا انه معذب مخلد في الاخرة تنازعوا في اسمه لا في حكمه ومن الناس من يحكي عنهم انهم جعلوهم من اهل الجنة وهو غلط عليهم ومع هذا فتسميتهم له مؤمنا بدعة ابتدعوها مخالفة للكتاب والسنة واجماع السلف وهذه البدعة الشنعاء هي التي انفرد بها الكرامية دون سائر مقالاتهم انظر الايمان الاوسط ص ١٧

رابعا – ان الذين قالوا ان الايمان هو عبارة عن التصديق والاقرار مثل ابى حنيفة وأمثاله ، فإن هذا الرأى وأن كان ظاهره الصواب الا ان حقيقته الخطأ والبدع التى لم يقولها الشرع فإن قالوا ذلك بوضع الشرع فنحن معهم وهذا هو الحق وان كان امسكهم باللغة فهذه هى البدعة والخطأ الذى لسنا معهم فيه (١)

خامسا – الذين قالوا ان الايمان هو عبارة عن ثلاثة اشياء أصلية لا تنفك كلها داخلة فى ماهية الايمان وهم الخوارج فقد جعلوا مع التصديق والاقرار، الاعمال اصل من اصول الايمان ومن فرط فيها فقد كفر فكل من ارتكب ذنبا فهو كافر فى زعمهم وقد افترقوا بينهم الى ازارقة ونجدات وصفرية وعجاردة (٢)

---

١ – الذين قالوا ان الايمان هو العقد بالقلب والاقرار باللسان دون العمل بالجوارح فلا نكفر من قال بهذه المقالة وان كانت خطأ وبدعة ابن حزم الفصل ج٣ ص ٢١٠ ، وقال ايضا فى موضع آخر :نقول لمن ذهب مذهب ابى حنيفة فى ان الايمان انما هو التصديق باللسان والقلب معا وتعلق فى ذلك باللغة ان تعلقكم باللغة لا حجة لكم فيها اصلا لان اللغة يجب فيها ضرورة ان كل من صدق بشىء فانه مؤمن به وأنتم والاشعرية والجهمية والكرامية كلكم توقعون اسم الايمان ولا تطلقونه على كل من صدق بشىء ما ولا تطلقونه الا على صفة محدودة دون سائر الصفات وهى من صدق بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك مما قد اجمعت الامه على انه لا يكون مومنا من لم يصدق به وهذا خلاف اللغة مجرد فان قالوا ان الشريعة اوجبت علينا هذا قلنا صدقتم فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضعه فى اللغة كما فعلتم سواءبسواء ولافرق

ولو كان ما قالوه صحيحا لوجب ان يطلق اسم الايمان لكل من صدق بشىء ما ولكان من صدق بالاهية الحلاج وبالاهية المسيح وبالاهية الاوثان مؤمنين لانهم مصدقون بما صدقوا به وهذا لايقوله احد ممن ينتمى الى الاسلام بل قائله كافر عند جميعهم ونص القرآن بكفر من قال بهذا قال الله تعالى ( يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اؤلئك هم الكافرون حقا )انظر ابن حزم الفصل ج٣ ص١٩٠

٢ – الخوارج لهم شبهتان الاولى هى قولهم ان صاحب الكبيرة كافر.

والشبهة الثانية هى استدلالهم بقول الله تعالى فى بعض مواضع من القرآن الكريم من ان معصية الله تدخل نار جهنم خالدا فيها فيكون بذلك كافرا كما ورد فى سورة النساء والجن والبقرة وقد سبق ذكر ذلك فى عرضنا لمذهبهم .ونقول لهم عن الشبهة الاولى ان صاحب الكبيرة فعلته من

الذنوب دون الشرك وهو من الموحدين المعرضين للعقاب بالنار دون الخلود فيها والدليل على ذلك ما اورده ابن حزم في الملل والنحل

١- قال تعالى ( يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم) (١) سورة البقرة ١٧٨

فابتداء الله عز وجل بخطاب اهل الايمان من كان فيهم من قاتل او مقتول ونص الله تعالى على ان القاتل عمدا وولي المقتول اخوان فقال الله تعالى فمن عفى له من اخيه شيء فصح ان القاتل عمدا مومن بنص القرآن وحكم له باخوان الايمان ولا يكون بين الكافر والمؤمن اخوة

٢- قال تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنين اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١) الحجرات اية ٩-١٠

فهذه الاية رافعة للشك جملة في قولة تعالى : ان الطائفة الباغية على الطائفة الاخرى من المؤمنين المأمور سائر المؤمنين بقتالهم حتى تفيء الى امر الله اخوة للمؤمنين وهذا امر لا يضل عنه الاضال ولايقول احد ان الله تعالى جعلهم اخوانا اذا تابوا لان نص الاية انهم اخوان حال البغي وقبل الفيء الى الحق فقد امرهم سبحانه بالاصلاح بين المتقاتلين في اول الاية ثم ذكرنا في اخرها قوله ( فأصلحوا بين اخويكم ) فهم اخوة حال البغي او القتال

٣- قال تعالى : الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ) النور اية ٣ فهذه الاية نص جلي على ان الزاني والزانية ليسا مشركين لان الله تعالى فرق بينهما فرقا لا يحتمل البته ان يكون على سبيل التأكيد بل على انهما صفتان مختلفتان وهذا للمذهب في النظر وهو ان يقال ان ذلك توكيدا لا محل له فإن الله سبحانه لا يضع لفظا في القرآن الا وله فائدة وحده وقواعد البلاغة تقتضي عدم الاطالة والقرآن رأس البلاغة ولا يصح في عقل مسلم ان يتوهم ان الله سبحانه قد استعمل لفظا لافائدة منه الا التكرار فهذا مناف لقواعد البلاغة العربية وقد جورا هذا المجرى في فهم قوله تعالى ( وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان فجعلوها كلها مترادفة وهذا لا يأتي في كلام العربي العادى ابدا بل في الركيك من القول ان يتكرر اللفظ مترادفا بهذا

وحاشا القرآن ان يكون كذلك

اما بالنسبة للشبهة الثانية وهي استدلالهم بقول الله تعالى في بعض مواضع من القرآن الكريم من ان معصية الله تدخل نار جهنم خالدا فيها فيكون كافرا كما ورد في اية النساء والجن والبقرة

فحسب الفهم السليم الجامع لادلة فقد قررنا انقسام المعصية الى شرك ودون شرك وكفر ودون الكفر وفسق ودون فسق كما فهم ذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم اجمعين

سادسا - نحت المعتزلة موقفا مخالفا للسلف الصالح فى تسميتهم بمرتكب الكبيرة بأنه ( فاسق ) وهو عندهم خارج من دائرة الايمان غير داخل فى دائرة الكفر فهو فى منزلة بين المنزلتين اما السلف فرفضوا تسميته بأى اسم، وورد عنهم ان الايمان عند مرتكب الكبيرة وقت فعله يكون فوقه كالمظلة اذا تاب رجع اليه (١)

---

وان الخلود فى النار الناشىء عن الكفر لا يكون الا بارتكاب عمل من اعمل الشرك اما بقية الذنوب فهى لا توجب الخلود فى النار بالتالى- وهى الصغائر والكبائر - وتكون للعصية المذكورة فى الايات هى المعصية بمعنى المحادة والكفر وليست بمعنى الذنوب الذى هو دون الشرك وهذا هو فهم جمهور السلف الذى يجمع الاطراف المستدل به فى الموضوع قال القرطبى :- والعصيان ان اريد به الكفر فالخلود على بابه وان اريد به الكبائر وتجاوز اوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدة ما كما تقول خلد الله ملكه وقال زهير ( ولا خالدا الا الجبال الرواسيا ) فيصح فى اللغة استعمال كلمة الخلود للتعبير عن طول المدة دون ظاهر القفظ الذى هو عدم الخروج مطلقا والقرآن عربى نزل بلسان عربى مبين فيصح بل يجب فهمه بأسلوب خطاب العرب لا حسب ظواهر دلالة اللفظ لما يحدث ذلك من تناقض فى المفاهيم الشرعية وتضارب فى اياته لا داعى له انظر القرطبى / الجامع لاحكام القرآن ج٥ ص٨٢

١ - قال واصل ابن عطاء شيخ المعتزلة : ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا يستحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا

وليس هو بكافر مطلقا ايضا لان الشهادة وسائر اعمال الخير موجودة فيه لاوجه لانكارها لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من اهل النار خالدا فيها اذا ليس فى الاخرة الا فريقان: فريق فى الجنة وفريق فى السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار)الشهرستانى - الملل والنحل ج١ ص ٤٨

قال ابو حامد الغزالى : الصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الانسانية ابو حامد الغزالى احياء علوم الدين ج١ ص ١١٩

قال الدكتور مزروعة هذه هى عقيدة المعتزلة بالنسبة الى من ارتكب كبيرة ثم خرج من الدنيا دون توبة

سابعا – ان الناظر فى أقوال السلف الصالح من خلال فهمهم للايمان يجد تضاربا واضحا وذلك من اختلاف وجهات نظرهم للايمان و لكن الناظر الى قضية لزوم حتمى

---

من حيث الاسم : لا يسمى مؤمنا , لانه لم يحصل العمل وقصر فيه وعصى ربه حين ارتكب الكبيرة والايمان عندهم جماع خصال الخير من الشهادتين وطاعة الله تعالى – والعاصى لم يستجمع خصال الخير , وانما اتى منا بالشهادتين وقصر فى العمل لذلك قالوا : لا يسمى مؤمنا .

وكذلك لا يسمى كافرا , لانه الكفر انتفى عنه نطق بالشهادتين واعتقدهما . واذا لم يكن كوما , و لم يكن كافرا , فقد قالوا انه: في منزلة بين المنزلتين, اى فى منزلة بين الايمان والكفر. هذا من حيث الاسم, او الوصف الذى يطلق عليه.

اما من حيث الحكم : فقد رأوا ان مرتكب الكبيرة مخلد فى جهنم , لان الجنة دار المؤمنين , ومرتكب الكبيرة – كما سبق بيانه ليس مؤمنا فا مكان له فى الجنة وحيث انه لا يوجد الا دارين الجنة والنار , فان مرتكب الكبيرة اذا لم يكن له مكان فى الجنه فلم يبق الا ان يكون مكانه فى النار – عياذ بالله سبحانه – د محمود محمد مزروعة / تاريخ الفرق الاسلامية دار المنار ص ١٤٢

وهم بذلك قد خالفوا فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم فى تسميتهم لمرتكب الكبيرة وايضا فى الحكم عليه فى دار الاخرة وتيقنهم بالوعيد له فى النار – والعياذ بالله –

ذكر ابن تيمية فى كتاب الايمان :– قال احمد بن حنبل : حدثنا يحيى عن اشعث عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ينزع منه الايمان فإن تاب أعيد اليه ) وقال : حدثنا يحى عن عوف قال :– قال الحسن : يجانبه الايمان ما دام كذلك فان رجع راجعه الايمان . وقال احمد : حدثنا معاوية عن ابى إسحاق عن الاوزاعى قال : وقد قلت للزهرى حين ذكر هذا الحديث ( لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ) فانهم يقولون فان لم يكن مؤنا فما هو ؟ قال فانكر ذلك وكره مسألته هذه قال احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن ابراهيم عن مجاهد

عن ابن عباس انه قال لغلمانه : من اراد منكم الباءة زوجناه , لا يزنى منكم زان الا نزع الله منه نور الايمان , فإن شاء ان يرده رده وإن شاء ان يمنعه منعه وقال ابو داود السجستانى : حدثنا عبد الوهاب بن نجدة حدثنا بقية بن الوليد انه أخبره عن ابى هريرة انه كان يقول : انما الايمان كثوب احدكم يلبسه مرة ويلقلعه مرة اخرى ) وكذلك رواه باسناده عن عمر وروى عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا وفى حديث عن ابى هريرة مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم اذا زنى الزانى خرج منه الايمان فكان كالظلة فاذا انقطع رجع اليه الايمان) ابن تيمية كتاب الايمان ص ٢٩

اعمال الجوارح للنجاة من الخلود فى النار يجد انها قضية محسومة اذا جمعنا بين اقوالهم رضوان الله عليهم بصورة عامة شاملة .

واختلافهم هو اختلاف فى وجهة النظر بحسب ما يتراءى له ان هذا هو الحق فى الايمان والناج عند احدهم ناج عند الاخرين والهالك عند احدهم هالك عند الاخرين ولولا ذلك لوجدنا فى النظر للعديد من مقالاتهم اضطرابا شديدا فى فهمهم للايمان (١)

**ثامنا**– رأينا فى حقيقة الايمان من خلال فهمنا لما سبق ذكره من فهم السلف الصالح والفرق الكلامية وهذا الرأى الذى سنذكره ما نعتقده فى الايمان وسنلقى الله ان شاء الله عليه

---

١– قال ابن تيمية انه قد نقل عن السلف والائمة فى الكتب عن مسمى الايمان اقوالا كثيرة فى عبارات مختلفة توهم التضارب والتضاد فمن قائل ان الاسلام الكلمة والايمان العمل ومن قائل ان الاسلام اعتقاد ونطق ومن قائل ان الايمان قول وعمل ونية الى غير ذلك من العبارات

حاشاهم والتضارب , انما هى انظار مختلفة تتفق كلها فى الاصل ويتجه كل منها الى طرف صحيح فى ذاته وانما سوء الفهم وعدم الجمع بين الادلة وعدم انزال كل قول على المراد منه بالنظر الى القضية ككل هو سيما المقصرين من ابناء هذا العصر الاخذين بظواهر العبارات مما اداهم الى اثبات ما لم يقصد اليه احد من السلف والعلماء

فنجد ان اقوال السلف وائمة السنة فى تفسير الايمان فتارة يقولون هو قول وعمل , وتارة يقولون هو قول وعمل ونية , وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة , وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح

ثم يفسر بعدها ما اوردناه فنقول : والمقصود هنا ان من قال من السلف الايمان قول وعمل اراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن اراد الاعتقاد رأى ان لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر او خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ومن قال قول وعمل ونية قال ( القول يتناول الاعتقاد وقل اللسان واما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك ومن زاد اتباع السنة فلان ذلك لا يكون محبوبا لله الا باتباع السنة , واؤلئك لم يريدوا كل قول وعمل , انما ارادوا ما كان مشروعا من الاقوال والاعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه اربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التسترى عن الايمان ماهو فقال : قول وعمل ونية وسنة , الايمان اذا كان قولا بلا عمل فهو كفر واذا كان قولا بعملا بلا نية فهو نفاق واذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة (١)ابن تيمية كتاب الايمان ص ١٤٦

الايمان عبارة عن ثلاثة اجزاء اصلية وشرطان صحة وكمال

وهم على النحو الاتى :-

أولا – ايمان عقل (١) وفيه يكون الاعتقاد العلم بالله ،

قال تعالى ( فأعلم انه لا اله الا الله) (٢) وايضا التصديق(٣) بكل ما ورد عن الله سبحانه وتعالى ،

ثانيا – ايمان قلب (٤) :

---

١- العقل فى كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر ائمة المسلمين وهو امر يقوم بالعاقل سواء سمى عرضا او صفة ليس هو عينا قائمة بنفسها سواء سمى جوهرا او جسما اوغير ذلك وانما يوجدالتعبير باسم العقل عن الذات العاقلة التى جوهر قائم بنفسة فى كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون فىالعقل والنفس ويدعون ثبوت عقول عشرة كما يذكر ذلك من يذكره من اتباع ارسطو او غيره من المتفلسفة المشائين ومن تلقى ذلك عنهم من المنتسبين الى الملل

**انظر ابن تيمية العقل والروح بعناية طارق السعود / دار الهجرة بيروت لبنان /ص ٨**

٢- سورة محمد اية ٤٩

٣- الايمان التصديقى وحده لا يكفى لانه ايمان توحيد ربوبية مثل ايمان اليهود اوإيمان ابليس وإيمان اكثر مشركى العرب فكل هؤلاء كانوا يصدقون بعقولهم صدق الله فى انه موجود وانه واحد ونصوص القرآن كثيرة تؤكد ايمان هؤلاء بما نقول ونذكر من ان هؤلاء قد أمنوا ايمان ربوبية فقط دون الايمان الانقيادى وهو توحيد الالوهية وسيأتى بيانه باذن الله تعالى ( قال تعالى : ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وماهم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ) سورة البقرة اية ٨ و ٩ و ١٠

٤- قال ابو حامد الغزالى / يطلق على لفظ القلب معنيان / احدهما يطلق على الشكل الحسى الملموس للشكل صنوبرى يوجد فى الجانب الايسر من الصدر ويستخدم فى ضخ الدم لجميع اجزاء الجسم ، وهذا المعنى لا يهمنا كثيرا فى موضعنا ، اما المعنى الاخر للفظ القلب وهو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسمانى يقصد به – العقل او المخ وما به من مراكز عصبية مدركة –وقد تحيرت عقول اكثر الخلق فى إدراك وجه علاقته فى تعلقة به يضاهى تعلق الاعرض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالالة او تعلق المتمكن بالمكان – ابو حامد الغزالى –احياء علوم الدين ج٣ ص٣

وفيه يكون الاعتقاد عبارة عن القبول والرضا(١)، المحبة (٢)، التسليم (٣)، الخوف(٤)،

---

وللقلب مكانة عظيمة في الاسلام خصوصا عند الله سبحانه وتعالى فلا يمكن ان نقابل الله الا بقلب نقيا سليم خاليا من الكفر والشرك مليء بالايمان قال تعالى ٠ و إن من شيعته لابراهيم ، اذا جاء الله بقلب سليم ،سورة الصفات اية رقم ٣٧- وقال ايضا إلا من أتى الله بقلب سليم ) سورة الشعراء اية ٢٦

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ٠

وكان يقول صلى الله عليه وسلم قلوب العباد بين اصبعي من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فكان يدعو اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، وقال الله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذا هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب سورة ال عمران اية رقم ٨

فهذا هوبطانة القلب عند الله والتى ارتضاها بأن يكون وعاء للايمان الحق من توحيد الالوهية من تسليم ومحبة وخوف ورجاء وولاء وبراء

١- قال تعالى : ( رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم ) سورة المائدة اية ١١٩، بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه سورة التوبة اية ١٠٠وقال تعالى الذين اتبعوهم، وقال تعالى :رضى الله ورضوا عنه اؤلئك هم حزب الله سورة المجادلة اية رقم ٢٢، وقال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه سورة البينة اية ٨

٢- قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر ذنوبكم والله هو الغفور الرحيم سورة ال عمران اية ٣١، وقال تعالى :- يا أيها اللذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .............. سورة المائدة اية رقم ٥٤

وقال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله واللذين امنوا اشد حبا لله سورة البقرة اية ١٦٥

٣- فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرج مما قضيت ويسلموا تسليما سورة النساء اية رقم ٩٢، ولما رءا المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا إيمانا وتسليما سورة الاحزاب اية رقم ٢٢ وقال تعالى ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن سورة النساء اية ١٢٥، من يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى سورة لقمان اية ٢٢، وقال تعالى فالهكم إله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين سورة الحج اية رقم ٣٤.

٤- قال تعالى : وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ) سورة الانعام اية ٥١

وقال تعالى : يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه سورة الاسراء اية ٥٧

الرجاء(١) والتوكل علية سبحانه وتعالى (٢)، الولاء.(٣)، والبراء.(٤) كلـه مـن الله والى الله وهذا هو الاذعان القلبيالمستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا وهذا بخلاف الايمان العقلى فقط دون الايمان القلبى.(٥)

---

وقال تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار سورة النور اية ٣٧

قال تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف اولياءة فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين سورة ال عمـران اية ١٧٥

١- قال تعالى ( اؤلئك يرجون رحمة الله ) سورة البقرة اية ٢١٨

قال تعالى ( فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ملا يرجون النساء اية ١٠٤

قال تعالى ( يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمتة ) الاسراء اية ١٧

٢- قال تعالى ( إن الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ) سورة يوسف اية ٦٧

قال تعالى ( والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) سورة ال عمران اية ١٢٣

وقال تعالى ( واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) التوبة اية ٥١

وقال تعالى ( ومن يتوكل على الله فهو حسبة ) سورة الطلاق اية ٣

٣- قال تعالى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ٩ سورة ال عمران اية ٢٨

قال تعالى ( يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين ) سورة النساء اية ١٤٤

قال تعالى ( يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) سورة المائدة اية ٥١)

قال تعالى ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ) سورة التوبة اية ٧١

قال تعالى ( والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ) سورة الانفال اية ٧٣

٤- قال تعالى ، ان الله برئ من المشركين ورسوله ) سورة التوبة اية ٩

قال تعالى ( أنتم بريئون مما أعمل وانا برئ مما تجرمون سورة هود ٣٥

قال تعالى ( قد كانت لكم اسوة حسـنة فى ابراهيم والذين امنوا معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومـما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبد بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابـدا حتى تؤمنوا بـا لله وحـده ٠٠،سورة الممتحنة اية ٤

قال تعالى ، براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ) ٠٠ سورة التوبة اية ١

٥- من هنا يتبين لك ان من قال من اهل السنة فى الايمان هو التصديق على ظاهر اللغة انهم انمـا عنوا التصديق الاذعانى المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا بلا شك لم يعنوا مجرد التصديق ، فغن إبليس لـك يكذب فى امر الله تعالى له بالسجود وانما ابى عن الانقياد كفرا واستكبارا واليهـود كـانو يعتقـدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم و لم يتبعوه وفرعون كان يعتقد صدق موسى و لم ينقد بل جحد